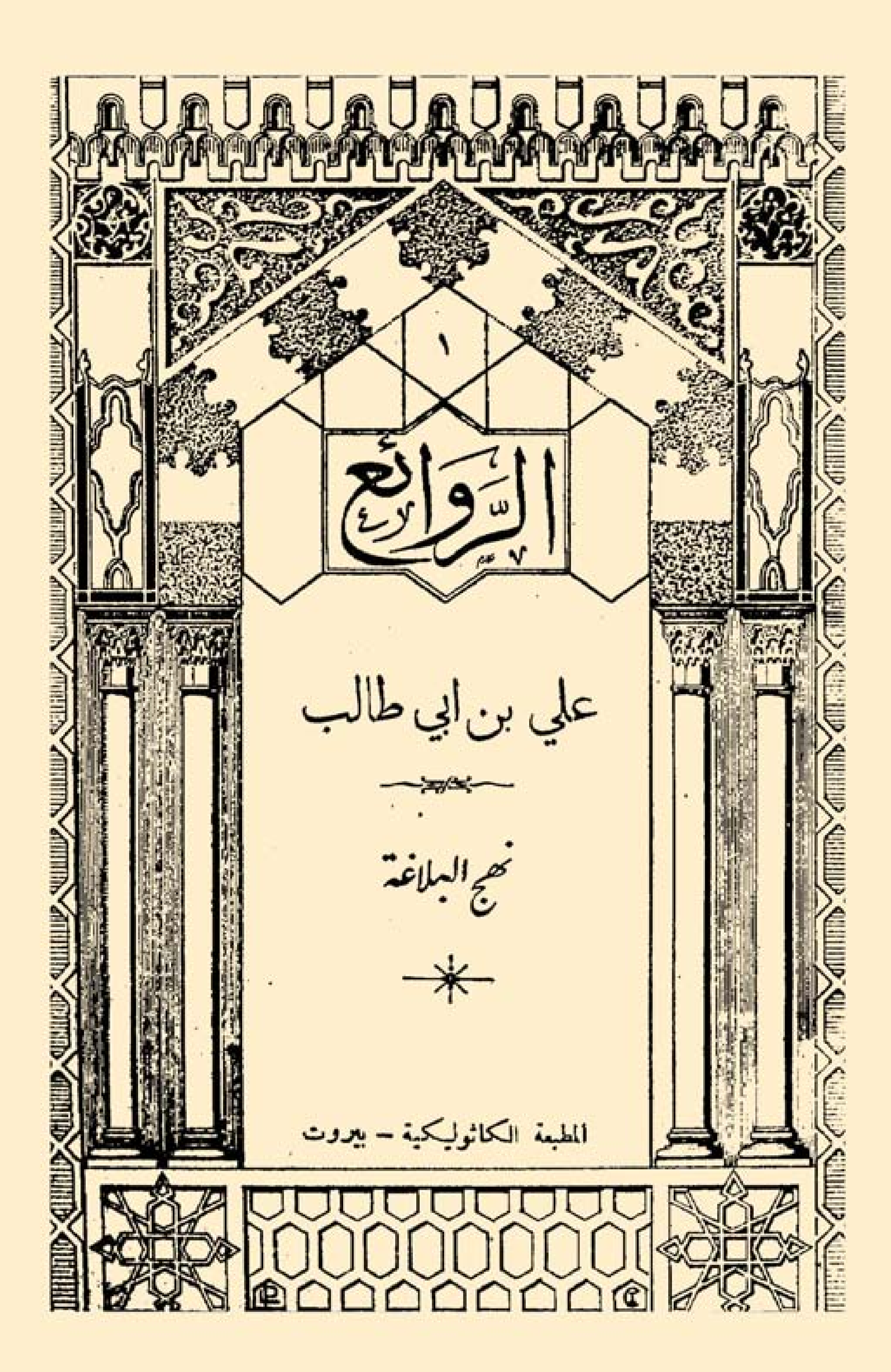
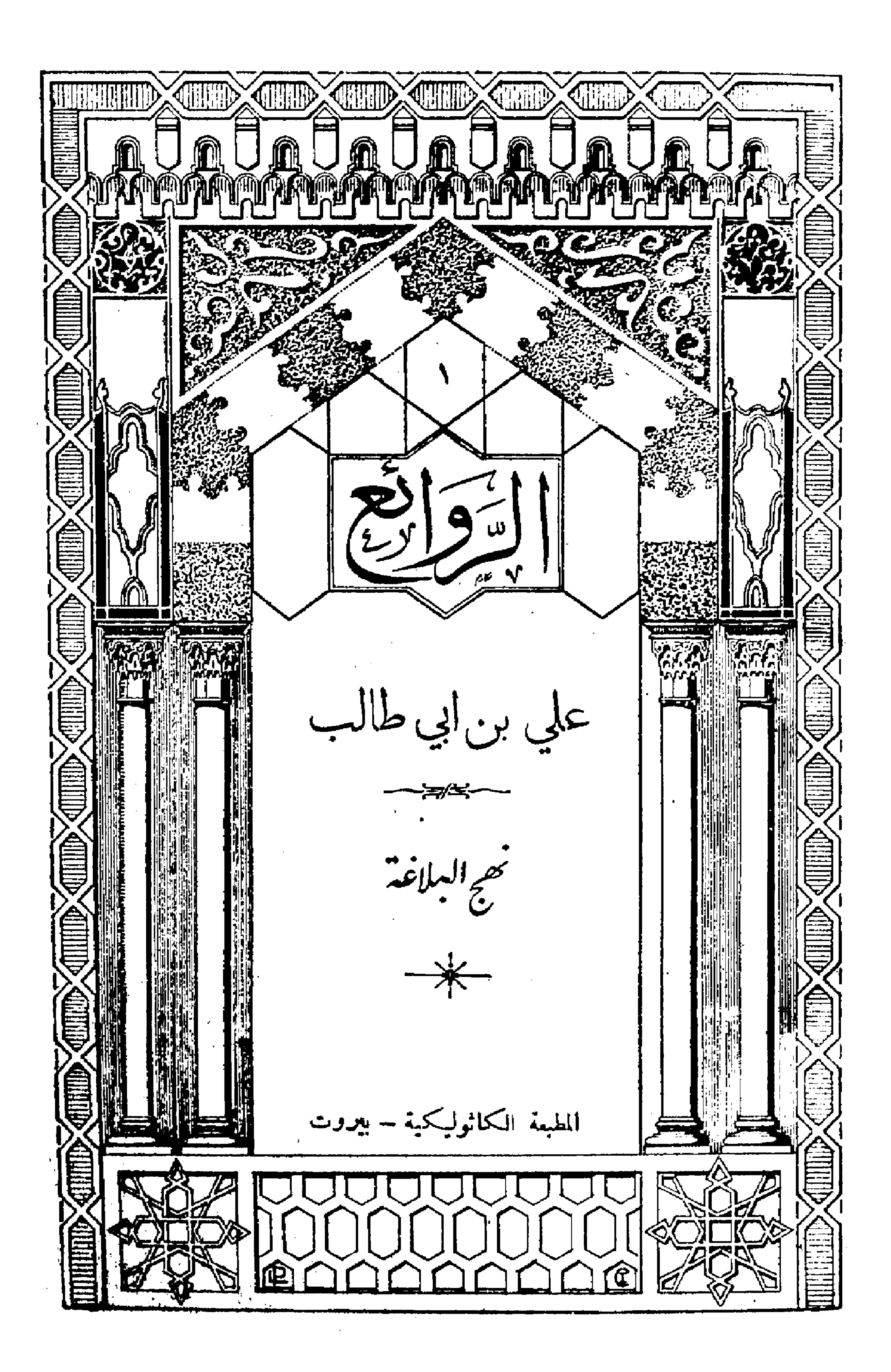

١
الروائع
علي بن ابي طالب
نهج البلاغة
المطبعة الكاثوليكية - بيروت


١
الروائع
علي بن ابي طالب
نهج البلاغة
المطبعة الكاثوليكية - بيروت

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

ما من احد يُنكر ان ناشئتنا تجهل الآداب العربية جهلاً تُلام عليه. على ان هذا الجهل ناتج عن خلوّ لغتنا من المعدّات المتوفّرة في الآداب الغربية ؛ ولا يخفى أن من اعم هذه المعدات فائدةً ، واخصبها نتائج ، كثرة الطبعات المدرسية السهلة للآثار الادبية ، ورخص ثمنها ، مما يرغّب المتأدّب في الحصول عليها ، وقراءتها ، فالاستفادة منها. فاذا ما توفّر في لغتنا هذان الشرطان : طبعات مدرسية سهلة ، ورخص ثمن ، خطت آدابنا الى الامام خطوات.

ولما كانت هذه الآداب عزيزة علينا ، وخدمتها واجبة ، رأينا ان نحقق هذا الامل ؛ فعزمنا على طبع مختارات من روائع آدابنا ، طبعة مدرسية في اجزاء متتابعة ، فنخصّ كل مؤلّف او كل تأليف بمجلّد صغير ، متوسط القطع ، جميل الغلاف ، متين الورق ، واضح الحرف ، نقدّم عليه بحثاً انتقادياً

في حياة المؤلف، وآثاره، وشخصيته الادبية، مع تحليل للكتاب المطبوع، وتعاليق على النص عند اللزوم

واننا نبدأ اليوم بنشر منتخبات من «نهج البلاغة» للامام علي بن ابي طالب، اول مفكري الاسلام؛ فنقدم هذا المجلد مثالاً لباقي المنشورات، والله ولي التوفيق

وتسهيلاً لاقتناء هذه السلسلة جعلنا ثمن النسخة خمسة غروش سورية او فرنكاً واحداً فقط

علي بن ابي طالب

نهج البلاغة

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٢٧

علي بن ابي طالب

٦٠٠ ؟ - ٦٦١

لعليّ بن ابي طالب شخصيّة جذّابة، حامت حولها اقلام الرواة والمؤرخين، واجتهدت في فهمها عقول النقّاد والمفكّرين، واهتدت بهديها ميول الزهّاد والسالكين، وسار تحت لوائها الجمّ الغفير من المتأدبين. ولم تكن الآراء المختلفة، والنظريات المتباينة، والمجادلات العديدة بين السنّيين والشيعيين على كرور الايام، الّا لتزيد الرجل سموّاً، وعقليّته بروزاً، من خلال غشاء المنازعات المتكاثف حيناً، والشافّ احياناً. فمن هو هذا الرجل العظيم؟ وما هي قيمة رجل الادب؟

الرجل

قبل موت النبيّ (٦٠٠ ؟ — ٦٣٢)

نشأتهُ — ابو الحسن علي بن ابي طالب، بن عبد المطلب، بن هاشم القرشي؛ ولد في مكة نحو سنة ٦٠٠ (١ ولمّا بلغ السادسة من عمره توفي

---

١) روي عن ابن علي، محمد ابن الحنفية، ان اباه قتل ولهُ من العمر ٦٣ سنة. فاذا اعتبرنا هذا القول، وانتبهنا الى ان المقصود السنة الهجرية، رأينا ان مولد علي يقع في آخر سنة ٦٠٠ على التقريب. واذا اعتبرنا قول ابنه الحسن، الزاعم انهُ قتل في سنّ ٥٨، كان مولده حوالي السنة ٦٠٤

ابوه فنقله ابن عمه محمد الى بيته وتولّى تربيته . فشبّ على حبّه ، حتى اذا اظهر دعوته ، تبعهُ عليّ على الاسلام وهو غـلام بعد ؛ فكان أول من اسلم بعد خديجه ، على قول ابي ذرّ وغيره ؛ وثانيهم على قول المسعودي(١

غـيرته وشجاعته — وكان كبير القلب ، شديد الاخلاص ، قويّ الايمان ، يذوب غيرة في سبيل الدين الجديد ، وإرضاء ابن عمه النبي . فاقام مكانهُ في منزله ، حين هدّده اهـل مكة فاجبروه على الهرب منها . ثم حارب معـهُ في غزاوت الاسلام ومواقعه ، الا تبوك ، مظهراً شجاعة وثبات جأش في بدر ، وأُحـد حيث أُثخن بالجراح ، والخندق ، وخيبر اذ حمل لواء الجيش .

مهماته وآماله — وفي السنة السادسة للهجرة (٦٢٨) غزا علي قبيلة بني سعد اليهودية في فدك . ثم قام بغزوة في بلاد اليمن في السنة العاشرة (٦٣١—٦٣٢) . وكثيراً ما وكل اليهِ النبي بعض الامور المهمّة ؛ من ذلك انهُ ارسله الى منىـا في السنة التـاسعة (٦٣٠) كي يقرأ بعض آيات من سورة البراءة ، ويطلع المؤمنين على مسائل جديدة فيما يختص بحجّ المشركين ، وزيارة الكعبة ، ودخول المسلمين الجنـة وغير ذلك . وكان يقوم بجميع هـذه الاعمال برغبة وحماسة نادرتين متوخياً في كل ذلك رضى النبي ، وان يكون لهُ يـد في تشييد هذا البناء الجديد . على ان من يقرأ بين سطور التاريخ يرى ان علياً لم يكن ليخلو من آمال بادارة القوم بعد موت محمد ، وانهُ كان يعتبر نفسهُ احق الجميع بالخلافة لقربه من النبي ، وهو

---

١) المسعودي : كتاب « التنبيه والاشراف » – طبعة de Gœje ص : ٢٣١

ابن عمه وصهره، وقدمه في الاسلام، وهو اول من آمن، واعماله الكثيرة (١

بعد موت النبي (٦٣٢ — ٦٥٦)

فتور همّة علي — مات النبي فبويع ابو بكر (٦٣٢) ثم بويع عمر ابن الخطاب (٦٣٤) ثم انتقل الامر الى عثمان بن عفّان (٦٤٤) وعليّ ينظر امله يتلاشى، وهمّته تفتر. غير ان الخلفاء لم يستغنوا عنهُ بل كانوا يستشيرونهُ في الامور الصعبة؛ وهو الذي اشار على عمر باتخاذ الهجرة مبدأ لتاريخ الحوادث؛ وقيل انهُ اول من اشار عليهِ بجمع القرآن. ولعلّ امتعاضه من مبايعة غيره من الخلفاء كان من الاسباب التي دفعت اعداءه الى اتهامه بدم عثمان! فكتب اليهِ معاوية يلومهُ ويذكر الخلفاء الثلاثة: «وكلهم حسدت، وعلى كلهم بغيت؛ عرفنا ذلك في نظرك الشزر، وتنفسك الصعداء، وابطائك على الخلفاء، وانت في كل ذلك تُقاد كما يقاد البعير المحسوس حتى تبايع وانت كاره» (٢

غير ان التاريخ يظهر لنا علياً اثناء الثورة على عثمان بمظهر الرجل الغيور، الشريف، يقوم بالمفاوضة بين الفريقين، حتى اذا عظم الخطب، يرسل ولديهِ لحماية الخليفة المحصور (٣

---

١) انظر حديث علي مع عبد الله بن الكواء زعيم اهل النهروان، في العقد الفريد لابن عبد ربه — ج ٢؛ ص: ٢٧٤ — ٢٧٥؛ وكتاب معاوية لعلي، في الجزء نفسه ص: ٢٨٩.

٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد — ج ٢؛ ص: ٢٨٩

٣) المسعودي: مروج الذهب — طبعة B. de Meynard ج ٤: ص: ٢٧٩ — ٢٨١.

ومهما يكن من الامر فاننا نقدر على القول ان سوء طالع علي بدأ بموت النبي.

خلافة علي (٦٥٦ ــ ٦٦١)

المبايعة والمعارضة ــ وبعد مقتل عثمان تقدَّم منهُ قوم من المهاجرين والانصار فبايعوه. فرضي بعد خمسة ايام، وكان ذلك نهار الجمعة في ٥ ذي الحجة سنة ٣٥ (٤ حزيران ٦٥٦)؛ وكان حزبه من الانصار لم يفز بمبايعته في الثلاث المرَّات الاولى فلم يشأ اضاعة هذه الفرصة. غير ان مقتل عثمان ساءَ بعضهم، وكأنهم شكّوا في براءة علي، فلزموا الحياد. وكذلك نقول عن زعماء قريش، وشرفاء المدينة بالاجمال، فان موقفهم لم يكن ممَّا يسرّ عليًّا حتى انهُ تشكّى من ذلك فكتب الى اخيهِ عقيل:

«... ودع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، فان قريشاً قد اجمعت على حرب اخيك اجماعها على حرب رسول الله، صلى الله عليه وسلَّم، قبل اليوم... فقد قطعت (قريش) رحمي، وتظاهرت عليَّ...» [1]

وزاد حزن علي ان البعض من أقرب قومه الهاشميين تخلوا عنهُ كعائشة امرأة النبي وابنة أبي بكر، وحزبها. وكانت تكره عثمان وكثيرًا ما هيجت القوم عليهِ، وترغب في طلحة. وبينا هي راجعة من الحج أُخبرت بقتل عثمان، فأظهرت سرورها ظانَّة أن الخلافة تؤول الى طلحة حتى اذا وافاها خبر مبايعة علي، غيَّرت مظاهر عواطفها وصاحت: «واعثماناه! ما

---

١) انظر كتاب عقيل وجواب علي في الاغاني: ج ١٥؛ ص: ٤٥-٤٦.

قتلهُ الا علي »(١ . وعلم بالامر طلحة والزبير وكانا قد بايعا علياً ، فندما ورجعا عن مبايعتهما منضمين الى عائشة ، فقوي حزب المعارضة .

موقف معاوية — وكان معاوية بن أبي سفيان بدمشق والياً لعمر ابن الخطاب ثم لعثمان ؛ وكان يعلم انهُ لا بدَّ لعلي من عزله ، اذا استتبَّ لهُ الامر . فلبث ينظر عن بعد نتيجة تلك الفتنة الاهلية علَّهُ ينتفع بها ، حتى اذا ما ظهرت قوَّة حزب المعارضة ، جاهر بعداوة علي مطالباً بدم عثمان الخليفة « الشهيد » او « المظلوم » . فانضمَّ اليهِ المعارضون وتألف حزب « العثمانية » ؛ وهم في الاصل اقرباء عثمان ، ثم مجمل المطالبين بدمه ، الرافضين مبايعة علي . واننا لنغلط اذا عددنا هذا الحزب من المطالبين بخلافة معاوية (٢ ، لان معاوية نفسهُ لم يكن ليطمح الى الخلافة في هذا العهد .

معركة الجمل — واراد علي اخماد الفتنة حال شبوبها ، واخضاع العراق والشام ، فترك المدينة الى البصرة حيث كان مخيّماً حزب عائشة وطلحة والزبير ؛ فالتقى بالقوم امام هذه المدينة في قرية تدعى الخريبة ، وكانت عائشة راكبة جملاً تشجع من هودجها الرجال . فانتشب القتال وكان اليوم شديد الوطأة على حزب المعارضة ، قُتل فيهِ الزبير ، وجرح طلحة جرحاً مات من تأثيره ، ورُمي هودج عائشة وهو كالقنفذ لما علق بهِ من النبال(٣ بعد ان قطع على خطام الجمل سبعون يداً . وكان انتهاء المعركة بانتصار علي في ١٠ جمادى الثانية ٣٦ (٤ كانون الاول ٦٥٦) . ولكن مصاب

---

١) راجع ابن العبري : تاريخ مختصر الدول - طبعة صالحاني ص : ١٨٠

٢) راجع P. H. Lammens : Mo'awia p. 120

٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص : ٣٢٦ وابن العبري : تاريخ مختصر الدول : ص : ١٨٢

المسلمين بهذه المعركة الاهلية احزنهُ ، فبكى القتلى ، ورفقَ بالجرحى ، وارجع عائشة الى المدينة في موكب من رجال ونساء يليق بها . ويقدر المسعودي قتلى معركة الجمل بثمانية عشر الفاً خمسة منها من جيش علي . ثم شجّع علي قومه على متابعة قتال العصاة وسار قاصداً جيوش معاوية .

معركة صفّين — وبعد شهر من المسير دخل الكوفة وكان قد مهّد لهُ طريقها قائد جيوشه الاشتر النخعي . فمشى منها في ٥ شوّال ٣٦ (٢٦ اذار ٦٥٧) على المدائن ، فدخلها ، وقطع الفرات الى الرقّة ، فالتقى بجيوش معاوية في سهول صفّين ، وهي موضع غربي الرقّة ، على ضفة الفرات اليمنى ، يفصلهُ عن النهر مستنقع . فابتدأت بين الفريقين مناوشات طفيفة لان الجميع كانوا يرجون الصلح القريب . وكان اول الحوادث ان جيش معاوية امتلك الماء على جيش علي فنزعهُ عنهُ الاشتر ، وسمح لجيش معاوية بالشرب . ثم اتفقا على الهدنة مدة محرَّم ، فكان يجتمع الفريقان وينسيان الحرب مؤملين خيراً . وتكاثرت الرسائل بين علي ومعاوية وفي اكثرها يطالب معاوية بثأر عثمان وعلي يدعوه الى الطاعة ولا يجيبهُ الى مطالبه (١ حتى انقضى محرَّم ، وقطعت المخابرات دون نتيجة ، فعادت المناوشات اشدّ تأثيراً من ذي قبل ، وامر علي كلَّ قبيلة من العراق ان تكفيه شرَّ اختها من الشام . وكان أشد زمن الحرب وقعاً ليلة الهرير (الجمعة ١٠ صفر ٣٧ = ٢٨ تموز ٦٥٧) حمل فيها الاشتر حملةً شديدة زعزعت جيوش الشام عن مراكزها واخافت معاوية فتضعضع . وبينا جيوش العراق يسيرون للنصر اذ رأوا المصاحف ، اي نسخ القرآن ، مرفوعة على رؤوس الحراب

---

١) اطلب هذه الرسائل في بابها من المنتخبات

في جيش معاوية ، فهابوا متابعة الحرب ؛ واسقط في يد علي اذ فطن لحيلة عدوّه . اما نسبة رواة العرب اختراع هذه الحيلة الى عمر وبن العاص ففيها نظر (١

التحكيم ومؤتمر اذرح — ثم اقترح معاوية اقامة حكمين يفصلان في المسألة حسب ما يأمر بهِ كتاب الله ، فرضي علي مرغماً . وكان رضاه ، بعد توقف جيشه عن القتال ، خطوةً ثانية في سبيل نجاح معاوية ، لان هذا التحكيم كان ممّا يحطّ من قدر خليفة اعترفت بهِ اكثر الاقطار العربية ، ويجعل حقه عرضةً للدرس والانتقاد . اما معاوية فاقام عنه حكماً عمرو ابن العاص ، السياسي الداهية ؛ وأمّا علي فأُجبر على قبول ابي موسى الاشعري ، ولم يكن لهُ فيهِ رغبة . وهذه ايضاً نتيجة لضعف سياسة علي ، واضطراب ادارته .

وكان القوم اتفقوا على جعل دومة الجندل مقرّاً للحكم . ولكن الحكمين اجتمعا في اذرح ، قرب دومة الجندل ، لسهولة الوصول اليها ، ووفرة مياهها . وكان معهما صحيفة تبين النقاط التي سيجري فيها البحث وهذا مضمونها بالتفصيل :

١ً يترل الحكمان ، والفريقان ، عند حكم الله في كتابه ، وعند السنة العادلة الجامعة ، غير المفرّقة فيما لا يجدانه في الكتاب

٢ً الحكمان هما : ابو موسى الاشعري عن اهل العراق ، وعمرو بن العاص القرشي من قبل اهل الشام . واذا توفي احدهما يُختار مكانه من اهل المعدلة والقسط

٣ً الحكمان آمنان على نفسيهما ؛ والامة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليهِ . وليس لعلي ومعاوية ان ينقضا الحكم

---

١) راجع Fr. Buhl : Siffin (dans l'Encyclopédie de l'Islam)

٤ً الامن والاستقامة ، ووضع السلاح ، جار بين المؤمنين جميعهم اينما ساروا ، على انفسهم ، واهليهم ، واموالهم ، وشاهدهم ، وغائبهم

٥ً مكان القضية ، الذي يقضيان فيه ، مكان عدل بين اهل الكوفة واهل الشام . ويأخذان من ارادا من الشهود

٦ً اجل القضاء الى رمضان . وان احبا ان يؤخرا ذلك أخراه على تراض منهما

ويلي ذلك تواقيع الشهود الا الاشتر، فانهُ ابى ان يوقع الصحيفة (١ . ولم يكن فعل الاشتر عبثاً لان صحيفة التحكيم كان من شأنها ان تجعل علياً ومعاوية في كفتين متعادلتين فضلاً عن غموض النقاط وابهامها ؛ وما المقصود مثلاً من «نزول الفريقين عند حكم كتاب الله»؟ . وهذا الغموض امرٌ استغلّهُ عمرو بن العاص واستفاد منهُ حين اجتمع بابي موسى في رمضان ٣٨ (شباط ٦٥٩) فظلَّ يبهم عليهِ الامر، حتى رضي ابو موسى بخلع علي ، لانهُ دخل في الثورة على عثمان فسقط حقه ، واعترف بحق معاوية ، لا بالخلافة ، بل بطلب ثأر الخليفة الشهيد .

عند ذلك رجحت كفة معاوية ، اذ خرج علي من التحكيم منزلاً عن الخلافة ، وخصمهُ والياً على سوريا ، لا خليفة كما يقول المؤرخون عادةً ؛ لان ما يُروى عن مبايعة عمرو بن العاص لمعاوية امام الجماهير بعد اسقاط علي غير معقول (٢ . فضلاً عن ان علياً في احتجاجاته على الحكم ، لا يذكر تلاعب عمرو وخدعته بل يتهم الحكمين جميعاً .

امـا نتيجة هذا المؤتمر فكانت نصراً سياسياً باهراً لمعاوية لانها

---

١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك – طبعة de Gœje – المجلد السادس من الجزء الاول ص : ٣٣٣٦ – ٣٣٣٨ .

٢) راجع P. H. Lammens : Adhroh (dans l'Encyclopédie de l'Islam) et Mo'awia p. 125-140

جعلت ابن ابي طالب امام امرين: التنازل عن الخلافة لرجل آخر، او الحنث بوعده انهُ ينزل عند حكم الحكمين. وكلا الامرين مُجحف بحقه.

الخوارج — على انهُ اختار رفض الحكم فتضعضع جيشه. وكان قسم كبير منهُ قد رفضوا التحكيم فخرجوا عليهِ ولم يذهبوا معهُ الى الكوفة بل ساروا الى حروراء، ثم احتلّوا المدائن واكثروا فيها من الفساد، نابذين كل سلطة، متخذين شعارهم: «لا حكم الا لله!». وكان عليّ يستعد لاعادة الكرة على جيوش معاوية فبلغهُ ما يأتيه الخوارج من الفظائع، فسار اليهم حتى التقى بجموعهم في النهروان، فاكثر فيهم القتل بعد ان ارجع بعضهم سلماً.

مقتله — ثم عاد الى الكوفة يستعدّ. وكان معاوية لا يزال يُرسل فيطالب بحقوقه حتى قُتل علي في ١٧ رمضان ٤٠ (٢٤ كانون الثاني ٦٦١) (١. قتلهُ الخارجي عبد الرحمن بن ملجم. وكان هذا، على ما يقول مؤرخو العرب، قد اتفق واثنين من فئته، هما عمرو بن بكر التميمي او زادويه والبرك بن عبد الله، على قتل ائمة الضلال، اي علي ومعاوية وعمرو بن العاص، في ليلة واحدة وتخليص المسلمين من شرّهم (٢.

اما معاوية وعمرو بن العاص فقد خلصا. واما علي فادركهُ ابن ملجم في المسجد بالكوفة، فضربهُ بسيف مسموم شقّ جبهتهُ، فمات بعد ثلاثة ايام.

---

١) او في ٢١ منهُ كما روى المسعودي (التنبيه ص: ٣٨٧) وكما يرى المستشرق كليمان هوار (Cl. Huart: ‘Ali b. Abi Tâlib ds. E. de l'I.) لان هذا التاريخ اقرب الى نهار الجمعة الواقع في ٢٢ منهُ

٢) انظر رأي حضرة الاب لامنس وشكّه في صحّة هذه الرواية Mo‘awia p. 140-144

فانتُقم من ابن ملجم . وكان عمر علي ٦٣ سنة على قول ابنه محمد ابن الحنفية ، و٥٨ على قول ابنه الحسن . وللناس اختلاف في موضع قبره على ان الراجح انهُ دفن في الكوفة .

حياته العائلية وصفاته

ازواجه — كانت اولى نسائه فاطمة بنت النبي تزوَّجها سنة ٦٢٣ وكان فقيراً باع درعه كي يفي صداقها؛ فكان لهُ منها الحسن والحسين . ولم يتزوَّج غيرها في حياتها؛ اما بعد موتها فانهُ تزوَّج اكثر من عشر نساء؛ وكان مجموع ولده ١٤ ذكراً و١٧ أنثى (١ .

بيدَ ان التاريخ لا يفيدنا شيئاً يذكر عن حياة ابن ابي طالب العائلية، وهل كان سعيداً مع نسائه . وهو امر قد نشك فيهِ اذا ما اطلعنا على اقوالهِ في المرأة، وذمّه اياها .

صفاته — كان علي متوسط القامة الى القصر، ضخم عضلات الذراعين والساقين ، اسمر اللون ، ثقيل العينين، عظيمهما ، اصلع ، عظيم اللحية ، وافر شعر الصدر ، ذا بطن؛ وكان حسن الوجه كثير التبسم .

اما من جهة الخُلق، فكان متواضعاً ، قنوعاً الى الزهد ، يحب التصدّق والاحسان . قال عنهُ ضرار بن ضمرة ، وكان من خواصهِ : « يُعجبهُ من الطعام ما خشن ، ومن اللباس ما قصر ، يُجيبنا اذا دعوناه ، ويُعطينا اذا سألناه . فكنا والله على تقريبه لنا ، وقربه منا ، لا نكلّمه هيبةً لهُ » (٢ .

---

١) ابن الاثير : التاريخ الكامل ج ٣ ؛ ص : ١٧٣

٢) المسعودي : مروج الذهب — ج ٤ ؛ ص : ٤٢٦

وقد اظهر علي في خلافته غيرة شديدة على مصلحة المسلمين ، وشجاعة نادرة في حروبه وغزواته . ولكنه لم يظهر مقدرة سياسية وحسن ضبط في الادارة . وهذا ما احبط مسعاه حتى كان معاوية يقول : « أُعنت على علي باربع : كان رجلاً ظهره علنة ، وكنت كتوماً للسر ؛ وكان في اخبث جند ، واشده خلافاً ، وكنت في اطوع جند واقله خلافاً ؛ وخلا باصحاب الجمل ، فقلت : ان ظفر بهم اعددت ذلك عليه وهناً ، وان ظفروا به كانوا اهون شوكة عليَّ منهُ (١ . وكنت احبَّ الى قريش منهُ » (٢ .

زيادة ايضاح — ومن اراد زيادة ايضاح عن مقام علي في عقائد السنيين والشيعيين وعما ينسب له بعض غلاة الشيعة من الكرامات والمعجزات والعجائب ؛ وعما يحوكون حول اسمه من الاساطير والروايات ؛ فعليه بمقال المستشرق كليان هوار في دائرة معارف الاسلام ، وبتأليف الشهرستاني في الملل والنحل ، وبالفصل السابع من كتاب حضرة الاب لامنس في الاسلام وعقائده ومؤسساته .

رجل الادب

آثاره

على آثار علي ستر كثيف من الشك والوهم يصعب علينا خرقه . غير اننا نذكر اشهر ما نسب اليه معلقين على ذلك ما يمكن من الايضاح :

١ — شعراً

نسب اليه ديوان شعر يحتوي على نحو ١٥٠٠ بيت في الزهد ،

١) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر — ج ١ ؛ ص : ١٩٩

٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد — ج ٢ ؛ ص ٢٣٧

والابتهالات ، والاقوال الحكمية . وهو بالاجمال ضعيف الصناعة . وقد عزاه بعض العلماء الى الشريف الرضي جامع نهج البلاغة ، وهو قول لا نطمئن الى برهان لشدَّة الفرق بين اساوب الرضي الشعري وما نراه في هذا الديوان . وظنَّ بعضهم انهُ من صناعة الشريف المرتضى فجاهر بذلك مستقيم زاده ، احد مؤلفي الاتراك ، وكاد يوافقهُ المستشرق كلمان هوار (١) .

على اننا نرى ان ما في هذا الديوان من نظم أدباء مختلفين ، في اوقات مختلفة ، من الذين شغفوا باقوال علي ، وحكمه ، فنظمها بعضهم شعراً وجرى غيرهم على اسلوبها حتى اجتمع هذا القدر من الابيات .

اما الاسباب التي تحمِلنا على نفي نسبة الديوان الى علي فعديدة :

منها ان النبي هُجي وقومه في اول بعثته . فقيل له : « ايذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » فقال : « ليس هناك » او « ليس عنده ذلك » ثم اشار الى حسَّان بن ثابت فهجاهم . فلو كان لعلي شاعرية لما اجاب النبي بهذا القول — ولا يسهل شرح الموقف على غير هذه الصورة (٢) .

ومنها ان ياقوت الحموي ، ذكر في معجم الادباء ، عن ابي عثمان المازني انهُ لم يصح ان عليا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين (٣) .

ومنها ان الادباء في صدر الاسلام لم يذكروا علياً مع الشعراء المخضرمين

(١ راجع Cl. Huart : Littérature arabe — 1923 : p. 252

(٢ راجع P. H. Lammens : A propos de ‘Ali ibn Abi Talib [M. F. O. VII, 311] . والاغاني : ج ٤ ؛ ص : ٤

(٣ ياقوت : معجم الادباء — طبعة Margoliouth ج ٥ ؛ ص : ٢٦٣

هذا فضلًا عن ان اسلوب الشعر المنسوب الى علي يختلف كثيراً عن اسلوب المخضرمين من معاصريه. فيمكننا اذن ان نرى انتحال الديوان.

٢ً — نثراً

ا — نهج البلاغة: يأتي ذكره في آخر هذا الدرس
ب — الف كلمة: ذكرها ابن ابي الحديد في آخر شرحه لنهج البلاغة — طبعت وحدها في بيروت ١٣٢٩ هـ. (١٩١١)
ج — نثر اللآلي: مجموعة حِكَم وامثال مرتبة على حروف الهجاء، عددها ٢٧٨ حكمة
د — غرر الحكم ودرر الكلم: مجموعة حكم وامثال، جمعها ورتبها على حروف الهجاء، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد، ذكر منها بالطبع ٥٣٧ حكمة
ه — بعض الامثال: جمعها ابو الفضل احمد بن محمد الميداني النيسابوري، غير مرتبة، عددها ٤٨ مثلًا ذُكر بعضها في النهج
و — طفافة بعض الامثال، ذكره شطاطاً ورفعهُ الميداني المشهور الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب — عددها ١٧ مثلًا مع شرحها للميداني

وهذه الكتب الاربعة طبعها المستشرق كورنيليوس ڤان واينين Carnelius Van Waenen مع ترجمة وشروح لاتينية، في مجلد واحد في اكسفورد سنة ١٨٠٦ بعنوان: Sententiæ Ali ebn Abi Talebi

ز – دستور معالم الحكم ، ومأثور مكارم الشيم : مجموعة خطب وحكم جمعها القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامه القطاعي – طبع سنة ١٣٣٢ هـ . (١٩١٣)

ح – وقد نشر حضرة الاب لويس شيخو بعض حكم لعلي نقلًا عن مخطوطة قديمة يرتقي عهدها الى سنة ٧٢٧ هـ . (١٣٢٧) في المشرق [٥ (١٩٠٢) ص : ١٠]

ط – ونشر السيد احمد رضا خطباً ومواعظ واقوالاً لعلي لم تنشر في نهج البلاغة ، او نشر بعضها فنشر باقيها في مجلة العرفان [٨ (١٩٢٣) ص : ١٠٨]

ي – وهناك كثير من خطب علي واقواله متفرقة في كتب الادب كالمخلاة والكشكول لبهاء الدين العاملي ، والعقد الفريد ، ومروج الذهب ، وغيرها

ك – الجفر والجامعة – قال السيد السند : « من نوع العلم الجَفر والجامعة كتابان لعلي كرّم الله وجهه ، ذكر فيهما على طريقة علم الحروف ، الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم . وكان الائمة المعروفون من اولاده يعرفونها ويحكمون بها » . اما صحة نسبة هذا الكتاب فلا رأي لنا فيها (١

ل – النحو – قال ابو الاسود الدؤلي انه تعلّم النحو على علي بن ابي طالب . ولكن لم يصلنا شيء مكتوب في ذلك (٢

---

١) راجع مادة «جفر» في دائرة معارف الاسلام وفي الدائرة العربية للبستاني

٢) انظر زعماً معاكساً لهذا الرأي في المقتطف [٣٦ (١٩١١) ص : ٢٣٥]

شخصية علي الادبية

اذا صرفنا النظر عن كل ما أُلِّف منسوباً الى علي، بعد القرن العاشر، من الآثار التي يشك بصحة جميعها بعض النقّاد، فلم نعتبر في بحثنا الا ما ورد من خطبه، ومواعظه، وحكمه، في كتب المؤرخين القدماء من امثال اليعقوبي، والطبري، والمسعودي، وابن عبد ربه، وكلهم كتبوا قبل نهج البلاغة؛ رأينا ان لعلي بن ابي طالب شخصيةً بارزة في الآداب العربية، وانّ له تأثيراً شديداً في مذاهب المتأدبين

وانّنا لنفهم حقيقة هذه الشخصية، ونُدرك سرّ هذا التأثير، اذا ما درسنا القوى الادبية الثلاث، واتّحادها في هذا الرجل، فحملها اياه الى ارقى درجة من البلاغة

دور الشعور

كان علي رقيق القلب، وافر التأثر، شديد الاخلاص. ولكنه لم يرَ حوله ادنى شبه لما في نفسه؛ فوُجد في ظروف عاكسته نصف عمره، وفي محيط يصاحبه بالاحتجاجات ويماسيه بالاعتراضات، وبين رجالٍ واعوان لا يفهم اكثرهم للاخلاص معنى. فتفطّر قلبهُ اذ رأى نتيجة اعماله المديدة واجتهاداته السالفة تتناثر كالهباء. وكان له من تردّد احكامه ما احبط مساعيه، لان صاحب القلب السليم لن يفقه ملاوي السياسة، فحار في

اموره ، وشكّ في صلاح البشر ، وحزن شديدًا حتى رفعه الأَلم الى ذاك الاحساس السريع التأثر ، والشعور المتألم ابدًا ، والعاطفــة الحية التي تميّز المتشائم فيرى انهُ مبخوس الحق، غير مفهوم ، فيتذمّر من الحيــاة ويتشكّى من البشر ؛ ثم يرى غرور المطــامح ، ونتيجة المطامع ، فيشفق على الخلق التاعسين يقضون عمرهم القصير في حشد الهموم ، وتغذية الاهواء فيقول : « مسكين ابن آدم ! مكتوم الاجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقة ، وتقتله الشرقة ، وتنتنه العرقــة ! » ويرى انحطاط اخلاقهم وكيف ان الانسان ينسى مصيبته بموت اهله ، ولا ينسى فقد ماله فيقول بشيء من المرارة : «ينام الرجل على الثكل ، ولا ينام على الحَرَب »

ويتذكّر ان جميع مفاسد الخلق عامّة ، وآلام تعسه خاصّةً تمتُّ الى النساء باسباب قوية ، فيشتدّ كرهاً لهنَّ ، وتتجاوز عاطفته الاشفاق ، الى الحكَم فيقول : « المرأة شرّ كلها . . . » فتتجلى لديه الحياة البشرية ، ونظام الكون ، وضعف الانسان فيُتمّ حكمه : . . . « وشرُّ ما فيها انه لا بدَّ منهــا »

ثم يزيد ترفُّعه عن العراك في هذه الحياة ، وهو لم يُخلَق ليعارك ، ولا يرى راحة الا في ما وراء هذا العــالم الفاسد فيحيي في قلبه ما كسبه في صغره من الايمان الحي ، ويميل الى الزهد فيأخذ بارشاد خواصّه وتعليمهم الحكَم . . . غير انه في ترفعه هذا ، لا ينسى الاساءات العديدة ، فلا يصل الى درجة الغفران ومقابلة الشر بالخــير بل يقول : «ردّوا الحجر من حيث جاء ، فان الشر لا يدفعه الا الشر . . . »

دور المخيّلة

ويجب الا نظن، اذا ما ذكرنا الحِكَم ، انها من نوع تلك الاقوال الجافّة ، والاشعار الباهتة التي ولع بها الانحطاطيون من النظّـام، ومقلّدو الحكماء من المفكرين. الحكمة عند علي بن ابي طالب وافرة المعنى، جميلة المبنى. يأخذها عقليةً لا لون لها ولا رسم، فتمرّ في مخيلته، فاذا هي صورة جميلة تترجرج فيها الحياة. اذا رأى مصائب البشر العديدة ، ونتائج اهوائهم السيئة صوّر لنا هذا العراك فقال : «اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع !»

واذا اراد ان مقدرة الرجل تعرف في منصبه ، جعل الولايات ميادين والولاة كخيل السبق فقال : «الولايات مضامير الرجال» . واذا فكّر في ان الحق فوق القوة صوّرت مخيلته مظاهر البطش فقال : «من صارع الحق صرعه !»

دور العقل

ليس علي شاعرًا ومصورًا فقط بـل هو حكيم قبل كل شيء ؛ حكيم في جميع مواعظه وخطبه ، يحافظ على الحدّ الاوسط في اكثرها . واذا هاجت عاطفته الاحزان فخُشي عليها من التهوّر،ظهر العقل آمرًا فاوقفها

وانّنا نرى ابلغ مظهر لعقله في القوة المنطيقية ، والمقدرة على القياس ، التي اتصفت بها اكثر كتبه الى معاوية او الى عماله ، والتي يقرأها المطالع فلا يتمالك عن القول : «الحق معه !» . هذا كتاب كتبه الى احد عماله ناصحاً

«دع الاسراف مقتصدًا واذكر في اليوم غدًا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك. اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين، وانت عنده من المتكبرين، او تطمع وانت متمرّغ في نعيم تمنعه الضعيف والارملة، ان يوجب لك ثوابَ المتصدّقين. وانما المرء مجزي بما اسلف، وقادم على ما قدّم. والسلام»

وعلى هذا النمط من البلاغة والايجاز سائر نصائحه ووصاياه. ويدلّنا على ما كان في نفسه من حب الصراحة، وسرعة الخاطر، وبلاغة الايجاز، جوابه لرجل من مبغضيه افرط في الثناء عليه، فقال له: «انا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك!»

واي مفكّر في عصرنا يزيد معاني وقوة تعبير، على ما في هذه الجملة لتصوير ميل الانسان الى التشكي والتذمّر، والمباهاة باعماله، وهي: «ثلاثة من كنوز الجنة: كتم العلّة، وكتم الصدقة، وكتم المصيبة»!

هذا دور الشعور، والمخيّلة، والعقل في انشاء علي بن ابي طالب. وان هذه القوى الثلاث يتحد بعضها ببعض اتحادًا متيناً، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً، فلا يحسّ القلب بشيء الّا ظهر صورة جميلة، يختم عليها العقل بخاتم الايجاز، ويدفعها حكمة مصكوكة كقطعة النقود، تتداولها العقول معجبة، مستفيدة.

ومن كانت هذه مقدرته فلا عجب ان رغب فيه قوم، وحسده قوم آخرون فابغضوه، وغالى الفريقان حتى قال الشعبي: «احبه قوم فكفروا في حبه، وابغضه قوم فكفروا في بغضه!»

نهج البلاغة

جمعهُ

قال المسعودي عن خطب علي بن ابي طالب انها « في سائر مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون، يوردها على البديهة، تداول الناس ذلك عنهُ قولاً وعملاً » (١. وما زال الناس يتداولون ذلك، حتى قام الشريف الرضي فجمع كل ما نقل عن الامام، من خطب، ورسائل، ومواعظ، فضمّنها كتاباً واحدًا سماه « نهج البلاغة »، انتهى من تأليفه في رجب سنة ٤٠٠ هـ (اذار ١٠١٠) بعد ان ترك اوراقاً بيضا في آخر كل باب، رجاء ان يقف على شيء بعد الجمع، فيدرجه في المحل الذي يناسبه. والشريف الرضي من سلالة علي اسمهُ محمد بن طاهر الحسين بن موسى بن ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم ولد سنة ٩٦٩ وتوفي سنة ١٠١٥؛ ويعرف ايضاً بالمرتضى، لقب احد اجداده، وبالشريف الموسوي. كان من اشهر ادباء عصره ولهُ ديوان شعر معروف.

صحة نسبته

ولم يمرّ زمن على جمع الكتاب حتى شكّ قوم من النقّاد والمؤرخين في

---

١) المسعودي : مروج الذهب ج : ٤، ص : ٤٤١

صحة نسبته ، وكان في مقدمتهم ابن خلكان فنسبهُ الى جامعه . وتبعهُ على هذا القول الصفدي وغيره، فتغلغل الشك بين القوم الى اليوم . وكان ان تسمية الشريف الرضي بلقب جـده المرتضى، لبست على بعض المؤرخين، التمييز بينه وبين اخيهِ علي بن طـاهر المعروف بالمرتضى (٩٦٦—١٠٤٤) فنسبوا الى هذا الاخير، جمع نهج البلاغة كما فعل جرجي زيدان(١)، وزاد غيرهم كالمستشرق كليمان هوار ان المرتضى موءلف الكتاب(٢).

ونحن اذا تدبّرنا اسباب الشك نراها ترجع الى خمسة امور :

١ً — ان في «نهج البلاغة» من الافكار السامية ، والحكم الدقيقة، ما لا يصح نسبته الى عصر علي

٢ً — ان فيهِ من التعريض بالصحابة ما لا يصدر عن رجل فاضل كعلي

٣ً — ادعاء علم المغيّبات وهو لا يكون فعل رجل عاقل

٤ً — الوصف الدقيق

٥ً — صناعة السجع ، والتنميق التي لم يتعوّدها ذاك العصر

وليس في اكثر هـذه الاسباب ما يقف عثرةً في سبيل صحة نسبة الكتاب :

فامـا سموّ الافكار، ودقة الحكم ، واصابة المعنى؛ فانها في كل عصر؛ اذ هي ناتجة عن الاختبار البشري، مرافقة لهذه الحياة في تجاريبها . وقـد رأينا في حياة الموءلف، واحزانه الكثيرة، وخيبة آمـاله، موادّ وافرة للتـأملات العديدة، والنظريات العميقة . فضلًا عن ان عليًا حفظ

---

١) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ؛ ص : ١٩٥

٢) Cl. Huart : Littérature Arabe 1923 p. 252

القرآن بما فيهِ من الآيات وكان عالماً ، كأكثر رجال عصره بكثير من الحكم البليغة الموجودة في التوراة والانجيل ؛ فامكنهُ الاستقاء منها .

واما التعريض بالصحابة ، فانهُ لشيء طبيعي في ابن آدم ان يتأفف ويتألم اذ يرى نفسه ممنوعاً من نيل مراده، مصروفاً عن حقه . والانسان مهما تقدَّم في الصلاح ، يظلّ انساناً ضعيفاً، عرضةً لعوامل الطبيعة البشرية

واما علم المغيَّبات فلا نتعرَّض لهُ وهو ليس باحسن ما في «نهج البلاغة»

واذا دققنا في الوصف وكماله ، واجلُ مظهر لهُ في نهج البلاغة خطبة « الخفَّاش » و « الطاووس »، نحكم انهُ سبب فاسد، لان من اخصّ صفات الشعر الجاهلي والمخضرم ، اتمام الوصف ، وتتبع هيئات الموصوف الى آخرها . نرى ذلك في شعر الشنفرى ، وامرئ القيس ، وعنترة ، وبشر ابن ابي عوانة من الجاهليين،وعمر بن ابي ربيعة، وامثاله من صدر الاسلام، وكلهم يجاورون علياً زماناً ومكاناً .

ونكاد نقول القول نفسه عن السجع لولا الخطبة المعروفة « بالشقشقية» وهي من اسباب الشك عند الكثيرين . على انهُ يروى عن ابن ابي الحديد، اشهر شارحي النهج ، عن بعض مشايخه ، ان الشقشقية ، كانت معروفة قبل مولد الرضي (1

ولا يؤخذ من هذا البحث ان « نهج البلاغة » ثابت كله لعلي بن ابي طالب حرفاً حرفاً . بل يمكن ان يكون بعض من رواه وتناقله غيّروا وبدّلوا في جمله وخطبه سهواً ، وهو امر محتمل يحصل لكل اثر ادبي تداولتهُ الالسن قبل ان تدوّنهُ الاقلام . ويمكن ان يكون الشريف الرضي نفسه

---

1) راجع مجلة العرفان : نهج البلاغة والمتقولون عليهِ [٨ (١٩٢٣) ص : ٥٨٤]

اتمّ بعض تراكيبه، او زاد في بعض شروحه، لا افساداً لكلام جده، او دسّاً في اقواله، تشفيّاً من اعــداء العلويين، او حطّاً من شأن مناوئي الشيعة مثلاً، بل لتوسيع فكر غامض، او شرح حكمة كثيرة الايجاز. وهناك النسّاخ، واي كتاب يأمن عثراتهم؟ وكل هذه الامور لا يتجاوز ضررها بعض الجمل والتعابير ممّا لا يؤبه له.

بيدَ انّا نرى سبباً جديداً، يدفعنا الى الشك في بعض مقاطع حكمية وتفسيرية من التي تدخل فيها الاعداد والتقاسيم المتوازية، المتشعبة، المتفقة عدداً كقوله: «الاستغفار على ستة معانٍ» — «الايمان على اربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد. والصبر منها على اربع شعب...» الخ. بتقسيم كل دعامة الى اربع شعب. وكذلك الكفر وتقسيمه الى اربع دعائم، والشك الى اربع شعب، وغير ذلك. فان استعمال الطريقة العددية في الشروح وتقسيم الفضائل او الرذائل على اسلوبها لا نراه في الآداب الجاهلية. بل لا نكاد نعرفه في الادب الاسلامي الا بعد ظهور كتاب «كليلة ودمنة» المعرّب. واذا علمنا ان ادخال الاعــداد في الحكمة الاخلاقية، وتقسيم العقليات له الدور المهم في المذاهب المتشعبة عن الطريقة الفيثاغورية والافلاطونية الجديدة؛ واذا علمنا ان العرب لم يعرفوا هذه الفلسفة الا بترجمة كتب اليونان في العصر العباسي الاول؛ واذا علمنا ان الشريف الرضي كان من الحكماء الاجلاء، والعلماء المعروفين وانهُ عاش بعد العصر العباسي الثالث، ساغ لنا هذا الشك (١.

---

١) وقد دفع اختصاص الفيثاغورية بطريقة الاعداد هذه المستشرق كارا دي ڤو الى ان خال لكتاب «كليلة ودمنة» اصلًا يونانياً — راجع: Carra de Vaux
Les Penseurs de l'Islam t. I. p. 354

شرحه وطبعاته

ولع كثيرون من الادباء بحفظ نهج البـلاغة والتفقه بمعانيه ونعم ما فعلوا. غير ان ما فيه من الايجاز البليغ، في دقة الاحكام، وحل المشكلات، مع الاسلوب الخاص، والغريب من الكلام، كان يقف بين سهولة الفهم والمطالع. فعزم جماعة من العلماء، والفقهاء، واللغويين، على تمهيد هـذه العقبة واخذوا بشرحه على جميع الوجوه، ومختلف الطرق، حتى بلغ شارحوه الستة والعشرين اشهرهم :

من الاقدمين : عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي المولود سنة ١١٩٠ والمتوفى سنة ١٢٥٧ شرحهُ شرحاً مطوَّلاً في عشرين جزءاً، طبعت مرَّات في ايران ومصر، منها طبعة في طهران سنة ١٢٧١ هـ (١٨٥٥)

ومن المعاصرين : الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً المتوفى سنة ١٩٠٥ شرحه في جزءين طبعهما لاول مرَّة في بيروت ـــ المطبعة الادبية ـــ سنة ١٨٨٥. ثم طبعا مرَّة ثانية في بيروت ايضاً بعنايـة الشيخ محيي الدين الخياط سنة ١٣٢٩ هـ. (؟) (١٩١١)

ولنهج البلاغة طبعات غير المتقدمة، في ايران ودمشق ومصر. واننا في منتخباتنا هـذه استندنا الى طبعة ايران الحجرية وطبعة الشيخ محمد عبـده الاولى والى شرحه مع تعاليق مختار الشيخ محيي الدين الخياط من شرح ابن ابي الحديـد. واردفنا ذلك ببعض شروح وملحوظات رأيناها لازمة

تقسيمه

قـال الشريف الرضي في مقدمته : « ورايت كلامه ، عليه السلام ، يـدور على اقطاب ثلاثة : اولهـا الخطب والاوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ ؛ فـاجمعت ، بتوفيق الله تعالى ، على الابتـداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ، ثم محاسن الحكم والادب مفرداً لكل صنف من ذلك باباً » . على اننـا رأينا مخالفة هذا التقسيم لفائدة طلاب الادب لانهم قد يعاون اذا بدأناهم بالخطب والمواعظ . فجعلنا التقسيم معكوساً وتصرفنـا بأن نقلنا بعض آراء من باب الى باب كي نجعلها مع ما يوافقها ويشابهها فيكون تقسيم هذه المنتخبات :

١ً — الحكم والاراء

٢ً — الرسائل والوصايا

٣ً — الخطب والادعية

هذا وانهُ لمن الفضول الافاضة بذكر بلاغة هذا التأليف والفائدة الجمة الناتجة عن دراسته فهو، كما قال الشيخ محمد عبده ، « حاوٍ جميع ما يمكن ان يعرض للكاتب والخاطب من اغراض الكلام . فقد تعرّض للمدح وللـذم الادبي ؛ وللترغيب في الفضائل ، والتنفـير من الرذائل ، وللمحاورات السياسية ، والمخاصمات الجدلية ، ولبيان حقوق الراعي على الرعية ، وحقوق الرعية على الراعي ، واتى على الكلام في اصول المدنية ، وقواعـد العدالة ، وفي النصائح الشخصية ، والمواعظ العمومية » او كما قيل بتعبير اوجز ، وتأثير اوفر : « هو دون كلام الخـالق ، وفوق كلام المخلوق ! »

مآخذ

اليعقوبي : تاريخه — طبعة Houtsma ١٨٨٣ — الجزء الثاني ص : ٢٠٦ — ٢٥٤

ابن عبد ربه : العقد الفريد — الجزء الثاني خصوصاً

الطبري : تاريخ الرسل والملوك — طبعة de Gœje — المجلد السادس من الجزء الاول ص : ٣٠٦٦ — ٣٤٧٦

المسعودي : مروج الذهب — طبعة Barbier de Meynard ١٨٦٥ — الجزء الرابع ص : ٢٨٨ — ٤٥٧

المسعودي : كتاب التنبيه والاشراف — طبعة de Gœje

ابو الفرج الاصبهاني : كتاب الاغاني الكبير

: مقاتل الطالبيين

ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر — الجزء الاول

ابن الاثير : التاريخ الكامل — القاهرة ١٢٩٠ (١٨٧٣) الجزء الثالث ص : ٨٠ — ١٧٣

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول — طبعة الاب صالحاني بيروت ١٨٩٠

نصر بن مزاحم : وقعة صفين — بيروت ١٩٢١

ياقوت الحموي : معجم الادباء طبعة Margoliouth في مادة : علي ابن ابي طالب

انيس زكريا النصولي : معاوية بن ابي سفيان — بيروت ١٩٢٤
» » » : الدولة الاموية في الشام — بغداد ١٩٢٧
البستاني: دائرة المعارف في موادّ : اذرح ، وصفين ، وخوارج
مجلة العرفان [٨ (١٩٢٣) ص : ٥٧٩] نهج البلاغة والمتقولون عليه

P. H. LAMMENS : Etudes sur le Règne du Calife Omaiyade Mo'āwia Ier — Beyrouth 1908.

« « « : A propos de'Ali ibn Abī Ṭālib (M. F. O. VII).

« « « : Adhroḥ — Encyclopédie de l'Islam.

CL. HUART : Alī B. Abī Ṭālib — Encyclopédie de l'Islam.

FR. BUHL : Ṣiffīn — Encyclopédie de l'Islam.

الباب الاول

الحكم والاراء

اذا اقبلت الدنيا على احد، اعارتهُ محاسن غيره. واذا ادبرت عنهُ، سلبتهُ محاسن نفسه.

خالطوا الناس مخالطة ان متُّم معها بكوا عليكم. وان عشتم حنوا اليكم.

اذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنهُ شكراً للقدرة عليهِ (١.

أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان. واعجز منهُ من ضيَّع من ظفر بهِ منهم.

اذا وصلت اليكم اطراف النعم، فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر (٢.

---

١) اي شكراً لله لانهُ قدَّرك عليه— ٢) اطراف النعم : اوائلها ، اي اذا لم تشكروا للمنعم اوائل نعمه نفرت عنكم اقاصيها اي اواخرها فحرمتموها كاملة

اقيلوا ذوي المروآت عثراتهم ؛ فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعهُ (١.

من كفّارات الذنوب العظام، اغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب.

يا ابن آدم اذا رأيت ربّك سبحانهُ، يتابع عليك نعمه، وانت تعصيه، فاحذره.

ما اضمر احد شيئاً الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

١٠ امشِ بدائك ما مشى بك (٢.

افضل الزهد اخفاء الزهد.

اذا كنت في ادبار، والموت في اقبال، فما اسرع الملتقى!

فاعل الخير خيرٌ منهُ، وفاعل الشر شرٌّ منهُ.

كن سمحاً ولا تكن مبذّراً، وكن مقدّراً ولا تكن مقتّراً (٣.

---

١) اقالهُ عثرته: رفعهُ من سقطته؛ ويرفعهُ: جملة حالية — ٢) اي ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معهُ العمل فاعمل — ٣) المقدّر: من يقدّر كل شيء بقيمته فينفق على قدره، المقتصد؛ المقتر: المضيّق في النفقة

١٥ من اسرع الى النـاس بما يكرهون، قالوا فيهِ بما لا يعلمون.

لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الاحمق وراء لسانه (١.

سيّئة تسوءُك خيرٌ عند الله من حسنة تعجبك (٢.

احذروا صولة الكريم اذا جاع، واللئيم اذا شبع.

عيبك مستور ما اسعدك جدُّك (٣.

٢٠ اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة.

السخاء ما كان ابتداءً، فاما ما كان عن مسألة فحياء وتذمم (٤.

لا غنى كالعقل. ولا فقر كالجهل. ولا ميراث كالادب. ولا ظهير كالمشاورة.

الصبر صبران : صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تُحب.

---

١) قال الشريف الرضي : « وهذا من المعاني العجيبة، الشريفة، والمراد بهِ ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشاورة الرويّة، ومؤامرة الفكرة، والاحمق تسبق حذفات لسانه، وفلتاتُ كلامه، مراجعةَ فكره، ومماخضة رأيه. فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الاحمق تابع للسانه » وقد روي لعلي هذا المعنى بلفظ آخر وهو : « قلب الاحمق في فيهِ، ولسان العاقل في قلبه » . — ٢) لان الحسنة المعجبة ربما جرَّ الاعجاب بها الى سيئات والسيّئة المسيئة ربما بعث الكدر منها الى التوبة والاستغفار . — ٣) الجدّ : الحظ، اي ما دامت الدنيا مقبلة عليك . — ٤) التذمم : الفرار من الذم .

الغنى في الغربة وطن . والفقر في الوطن غربة .

٢٥ القناعة مالٌ لا ينفد .

المال مادّة الشهوات .

من حذّرك كمن بشّرك .

لا تستحِ من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منهُ .

العفاف زينة الفقر . والشكر زينة الغنى .

٣٠ اذا تمّ العقل نقص الكلام .

من نصب نفسهُ للناس اماماً ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ؛ وليكن تأديبهُ بسيرته ، قبل تأديبهِ بلسانه . ومعلِّم نفسه ومؤدِّبها احق بالاجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم .

خذ الحكمة أنَّى كانت ، فانها الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلَج في صدره حتى تخرج ، فتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن .

الحكمة ضالّة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق .

قيمة كل امرئ ما يُحسنه .

٣٥ بقية السيف ابقى عددًا واكثر ولدًا (١.

من ترك قول «لا ادري» اصيبت مقاتله (٢.

رأي الشيخ احبُّ اليَّ من جَلَد الغلام (٣.

من اصلح بينهُ وبين الله، اصلح الله بينه وبين الناس. ومن اصلح امر آخرته، اصلح الله لهُ امر دنياه. ومن كان لهُ من نفسه واعظ، كان عليهِ من الله حافظ.

ان هذه القلوب تملُّ كما تملّ الابدان، فابتغوا لها طرائف الحكَم.

٤٠ شتّان ما بين عملين: عمل تذهب لذته، وتبقى تبعته؛ وعمل تذهب مؤونته، ويبقى اجره.

عجبت للبخيل يستعجل الفقر (٤ الذي منهُ هرب، ويفوتهُ الغنى الذي اياه طلب. فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء.

توّقوا البرد في اوله، وتلقوه في آخره؛ فانهُ يفعل في

---

١) بقية السيف: هم من يبقى بعد من يُقتل في معركة او نائبة. — ٢) مقاتل: جمع مقتل وهو موضع القتل لان من قال ما لا يعلم ظهر جهله. — ٣) جلَد الغلام: صبره على القتال، والرأي في الحرب اشدُّ فعلًا من الاقدام. — ٤) الفقر: هو ما قصر بالانسان عن ادراك حاجاته، والبخيل تكون لهُ الحاجة فلا يقضيها، فحالهُ حال الفقراء، فقد استعجل الفقر وهو يهرب منهُ بجمع المال.

الابـدان كفعلهِ في الاشجار : اولـه يحرق وآخره يورق (١ .

الدنيا دار ممرّ الى دار مقرّ . والناس فيها رجلان : رجل باع فيها نفسه فأوبقها (٢ ورجل ابتاع نفس فاعتقها .

لا يـكون الصديق صديقاً حتى يحفظ اخاه في ثلاث : في نـكبته ، وغيبته ، ووفاته .

٤٥ الهمّ نصف الهرم .

كم من صائم ليس لـهُ من صيامـه الا الظمأَ ، وكم من قائم (٣ ليس لهُ من قيـامه الا السهر والعناء ! حبذا نوم الاكياس (٤ وافطارهم !

عاتب اخاكَ بالاحسان اليهِ ، واردد شرّه بالانعام عليهِ .

المرء مخبوءٌ تحت لسانه .

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٥٠ الناس اعداء ما جهلوا .

كم من اكلة منعت اكلات .

---

١) لانهُ في اولهِ يأتي على عهدٍ من الابدان بالحر فيؤذيها ، اما في آخره فيمسّها بعد تعوّدها اياه وهو اذ ذاك اخف . — ٢) اوبقها : اهلكها . — ٣) قائم الصلاة . — ٤) الاكياس : جمع كيّس ، وهم العاقلون .

احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك .

لا خير في الصمت عن الحكم ، كما انهُ لا خير في القول بالجهل .

يا ابن آدم ، ما كسبت فوق قوتك ، فانت فيهِ خازنٌ لغيرك !

٥٥ كل وعاء يضيق بما جُعل فيهِ الا وعاء العلم فانهُ يتّسع .

الجود حارس الاعراض (١ . الحلم فِدام السفيه (٢ . والعفو زكاة النصر .

كم من عقل أسير تحت هوى امير .

أغض على القذى والا لم ترضَ ابداً (٣ .

اكثر مصارع العقول ، تحت بروق المطامع .

٦٠ من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم (٤ .

---

١) قال زهير بن ابي سلمى في معلقته :

« ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفِرْهُ . ومن لا يتق الشتم يُشتمِ »

٢) الفِدام : المصفاة تُجعل على فم الابريق ، خرقة تُشد على الفم ؛ اي اذا حلمت فكأنك سددت فم السفيه بالفدام فسكت . — ٣) القذى : كل ما وقع في العين وفي الشراب من تبنة وغيرها ، واغضى على القذى : اطبق عينيه على ما يوجعها من ذلك ، وفي المجاز تحمّل ما يؤلمه ، والمعنى : تحمّل الاذى فمن لم يتحمل يظلّ ساخطاً طول حياته لانها لا تخلو من اذى . — ٤) اي عدم التفاته لعيوب الناس وان كان يعلمها .

ان قوماً عبدوا الله رَغبةً فتلك عبادة التجّار.وان قوماً عبـدوا الله رَهبةً فتلك عبادة العبيد. وان قومـاً عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الاحرار (١.

يوم المظلوم على الظالم اشدُّ من يوم الظالم على المظلوم.

من يُعطِ باليد القصيرة يُعطَ باليد الطويلة (٢.

مرارة الـدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الـدنيا مرارة الآخرة.

٦٥ اذا املقتم، فتاجروا الله بالصدقة (٣.

قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول(٤.

لا تصحب المائق (٥ فانهُ يزين لك فعله ويودُّ ان تكون مثله.

اصدقاؤك ثلاثة، واعداؤك ثلاثة ؛ فأصدقاؤك: صديقك وصديق صديقك، وعدوُّ عدوك؛ واعداؤك: عدوُّك،

١) لانهم عرفوا حقًا عليهم فادّوه، وتلك صفة الاحرار. —٢) قال الشريف الرضي: «ومعنى ذلك ان ما ينفقهُ المرء من ماله في سبيل الخير والبرّ، وان كان يسيرًا، فان الله تعالى يجعل الجزاء عليهِ عظيماً كثيرًا، واليدان ههنا عبارتان من النعمتين، ففرّق، عليه السلام، بين نعمة العبد ونعمة الرب فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لان نعم الله ابدًا تضعف على نعم المخلوق أضعافًا كثيرة اذ كانت نعم الله اصل النعم كلها، فكل نعمة اليها ترجع، ومنها تنزع». — ٣) أملق : افتقر. ٤) عمل القليل مع المواظبة خير من قصد الكثير يملّه الانسان فيتركه. —٥) الاحمق

وعدوُّ صديقك ، وصديق عدوك .

الناس ابناء الدنيا ، ولا يلام الرجل على حبّ امه .

٧٠ ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحَرَب (١ .

ردُّوا الحجر من حيث جاء ، فان الشرّ لا يدفعهُ الا الشرّ (٢.

ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره.

من سلَّ سيف البغي قُتل به ومن كابد الامور عطب.ومن اقتحم اللجج غرق، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

من نظر في عيوب الناس فانكرها ، ثم رضيها لنفسه ، فذاك الاحمق بعينه.ومن نظر في عيب نفسه ، اشتغل عن عيب غيره.

٧٥ من كثر كلامه كثر خطاؤه ، ومن كثر خطاؤه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كلّ ما تعلم .

---

١) الثكل : فقد الاولاد ؛ الحَرَب: سلب المال ، اي يصبر الانسان على موت اولاده ولا يصبر على سلب ماله . — ٢) لا تقاوموا الشرّير بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل لهُ الاخر (متى ٥ : ٣٩ ولوقا ٦ : ٢٩) احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم (متى ٥ : ٤٤ ولوقا ٦ : ٢٧) .

من صارع الحقّ صرعه !

الولايات مضامير الرجال (١.

منهومان (٢ لا يشبعان : طالب علم وطالب مال.

٨٠ من اعطى اربعا لم يُحرم اربعا : من اعطى الدعاء لم يُحرم الاصابة ؛ ومن اعطى التوبة لم يُحرم القبول ؛ ومن اعطى الاستغفار لم يُحرم المغفرة؛ ومن اعطى الشكر لم يُحرم الزيادة.

ثلاثة من كنوز الجنة : كتم العلة، وكتم الصدقة، وكتم المصيبة.

القرابة الى المودّة أحوج من المودّة الى القرابة.

---

١) مضامير : جمع مضمار وهو المكان الذي تضمَّر فيه الخيل اي تعد للسباق، اي في الولايات والمناصب يتبين فضل السابق من الرجال على غيره. — ٢) منهومان : مثنى منهوم وهو المفرط في الشهوة .

الآراء والاجوبة

القضاء والقدر

سأله رجل: أكان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر فأجابه من كلام :

ويحك ! لعلّك ظننت قضاء لازماً، وقدرًا حاتماً. ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد (١. ان الله سبحانه امرَ عباده تخييرًا، ونهاهم تحذيرًا، وكلّف يسيرًا، ولم يكلّف عسيرًا، واعطى على القليل كثيرًا، ولم يُعصَ مغلوباً، ولَم يُطَعْ مُكرِهاً، ولم يُرسل الانبياء لعباً، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والارض وما بينهما باطلًا. وذاك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار !

الايمان والكفر والشك

سُئِل عن الايمان فقال :

الايمان على اربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعَدْل، والجهاد.

---

١) قال الشيخ محمد عبده: «القضاء علم الله السابق بحصول الاشياء على احوالها في اوضاعها، والقدر ايجاده لها عند وجود اسبابها، ولا شيء منها يضطرّ العبدَ لفعل من افعاله. فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر، ولا يجد شخص الا ان اختياره دافعه الى ما يعمل؛ والله يعلمه فاعلًا باختياره، إمّا شقياً به وإما سعيداً. والدليل ما ذكر الامام» ونزيد ان لفظة «السابق» في قوله «علم الله السابق» لا توافق لانها تفيد صفة زمنية لعلمه تعالى ولا زمان لله فالصواب ان نقول هو «علم الله بحصول الاشياء» علماً لا صفة زمنية له

والصبر منها على اربع شُعَب : على الشوق ، والشَفَق (١ والزهد ، والترقّب : فمن اشتاق الى الجنة ، سلا عن الشهوات ؛ ومن اشفق من النار ، اجتنب المحرَّمات ؛ ومن زهد في الدنيا ، استهان بالمصيبات ؛ ومن ارتقب الموت ، سارع الى الخيرات . واليقين منهــا على اربع شُعب : على تبصرة الفطنة ، وتأوّل الحكمة (٢ ، وموعظــة العِبرَة ، وسُنَّة الاولين : فمن تبصَّر في الفطنة ، تبيَّنت له الحكمة ؛ ومن تبينت له الحكمة ، عرف العــبرة ؛ فكأنما كان في الاولين . والعدل منها على اربع شُعب : على غائص الفهم ، وغور العلم (٣ ، وزُهرة الحكم (٤ ، ورساخة الحِلم : فمن فهم ، علم غور العلم ؛ ومن علم غور العلم ، صدر عن شرائع الحكم ؛ ومن حلم لم يفرط في امره وعاش في الناس حميدًا . والجِهاد منها على اربع شُعب : على الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصــدق في المواطن (٥ ، وشنَآن (٦ الفاسقين : فمن امر بالمعروف ، شدَّ ظهور المؤمنين ؛ ومن نهى عن المنكر ارغم انوف الكافرين ؛ ومن صــدق في المواطن ، قضى ما عليه ؛ ومن شنأ الفاسقين ، وغضب لله ، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة

وقال ايضاً : الايمان معرفة بالقلب ، واقرار باللسان ، وعمل بالاركان

الكفر على اربع دعائم : على التعمُّق (٧ ، والتنازع (٨ ، والزَّيغ (٩

---

١) الشَفَق : الخوف — ٢) تأول الحكمة : الوصول الى دقائقها — ٣) غور العلم : سرّه وباطنه . — ٤) زُهرة الحكم : حسنه . — ٥) اي في مواطن القتال . — ٦) الشَنَآن والشَنْآن : البغض الممزوج بالعداوة . — ٧) التعمُّق : زعم طلب الاسرار فتتبُّع الاوهام . — ٨) التنازع : المجادلة الفارغة . — ٩) الزَّيغ : الميــل مع الهوى فالحَيَدَان عن مذاهب الحق

والشِقاق(١ : فمن تعمّق ، لم يَنِب (٢ الى الحقّ ؛ ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ؛ ومن زاغ، ساءت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السيئة وسكر سكرَ الضلالة ؛ ومن شاقَّ (٣ وعُرت عليه طرقه ، وأعضل عليه امره ، وضاق عليهُ مخرجه

والشكّ على اربع شعب : على التماري (٤ والهول (٥ ، والتردُّد ، والاستسلام : فمن جعل المِراء ديدناً لم يصبح ليله (٦ ؛ ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ؛ ومن تردَّد في الريب(٧ ، وطئته سنابك الشياطين ؛ ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة ، هلك فيهما

الاستغفار

قال رجل بحضرته : استغفر الله ! فقال له :

ثكلتك امك ! اتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفار درجة العِلّيين ، وهو اسم واقع على ستة معانٍ اولها : الندم على ما مضى . والثاني : العزم على ترك العود اليه ابداً . والثالث : ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم ، حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة . والرابع : ان تعمِد الى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها . والخامس : ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السُّحت (٨

١) الشقاق : المخالفة والمعاداة . — ٢) لم ينِب : لم يرجع من أنابَ يُنيب : رجع ٣) شاقَّ : خالف وعادى وحقيقته أن يأتي كل واحد من المتناظرين بما يشقُّ على الآخر ، فيكون كل واحد منهما في شقّ غير شقّ صاحبه . — ٤) التماري : التجادل لاظهار قوة الجدل لا في سبيل الحق ومثله المِراء والمماراة . — ٥) الهول : الخوف الشديد مع الدهشة . — ٦) اي لم يخرج من ظلام الشك الى صبح اليقين . — ٧) الريب : الظن . — ٨) السُحت : الحرام .

فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظـــام ، وينشا بينهما لحم جديد .
والسادس : ان تذيق الجسم الم الطاعة ، كما اذقته حلاوة المعصية . فعند
ذلك تقول : استغفر الله !

الانسان

لقد عَلِق بنِيَــاط (١ هذا الانسان بضعة هي اعجب منــه ، وذلك
القلب. وله موادّ من الحكمة ، واضداد من خلافها : فان سنح له الرجاء ،
أذلَّه الطمع ؛ وان هاج به الطمع اهلكه الحرص ؛ وان ملكه اليأس ،
قتله الاسف ؛ وان عرض له الغضب، اشتدَّ به الغيظ ؛ وان اسعده الرضى،
نسي التحفُّظ ؛ وان ناله الخوف ، شغله الحـذر ؛ وان اتّسع له الأمن ،
استلبته الغيرة ؛ وان أَفادَ مالاً ، اطغاه الغنى ؛ وان اصابته مصيبة ، فضحه
الجزع ؛ وان عَضَّته الفاقــة ، شغله البلاء ؛ وان جهده الجوع ، قعــد به
الضعف ؛ وان افرط به الشبع ، كظته (٢ البطنة . فكل تقصير به مضرّ ،
وكل إفراد له مفسد .

مسكين ابن آدم ! مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل،
تؤلمه البقَّة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة !

المرأة

المرأة شرّ كلها وشرُّ ما فيها انه لا بدَّ منها
المرأة عقرب حلوة اللبْسَة (٣

١) نِياط : عرق غليظ متصل بــه القلب . — ٢) كظته : آلمته — ٣) اللِبسة :
حالة من حالات اللُبس ، يقال : لبست فلانــة اى عاشرتها زمناً طويلاً

خيار خصال النساء ، شرار خصال الرجال : الزهو ، والجبن ، والبخل . فاذا كانت المرأة مزهوّة لم تمكن من نفسها ؛ واذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها ؛ واذا كانت جبانة فَرِقت من كل شيء يعرض لها

من خطبة بعد حرب الجمل :

معاشر الناس ، إن النساء نواقص الايمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول . . . فاتقوا شرار النساء ، وكونوا من خيارهنّ على حذر ؛ ولا تطيعوهنّ في المعروف ، حتى لا يطمعنَ في المنكر

* * *

قال لجابر بن عبدالله الانصاري :

يا جابر ، قوام الدنيا باربعة : عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف ان يتعلّم ، وجواد لا يبخل بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه . فاذا ضيع العالم علمه ، استنكف الجاهل ان يتعلّم ، واذا بخل الغني بمعروفه ، باع الفقير آخرتهُ بدنياه (١

يا جابر ، من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس اليه . فمن قام لله فيها بما يجب عرّضها للدوام والبقاء ، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء

صفة الزاهدين

قال نوف البكالي :

رأيت عليّاً ، رضي الله عنه ، ليلةً قد اكثر الخروج والدخول ، والنظر الى السماء ، ثم قال لي : يا نوف ، أنائم انت ؟ قلت : بل رامق بعيني

---

١) لانه يضطرّ الى الخيانة او الكذب لينال بها من الغني شيئاً .

منذ الليلة يا أمير المؤمنين . فقال لي :

يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، اولئك قوم اتخذوا ارض الله بساطاً ، وترابها سُباتاً (١) ، وماءها طيباً ، والكتاب شعاراً ، والدعاء دثاراً (٢) ، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

يا نوف ، ان الله تعالى اوحى الى عبده عيسى عليه السلام أن قُل لبني اسرائيل الاّ يدخلوا بيوتي الاّ بقلوب خاضعة ، وابصارٍ خاشعة ، واكفّ نقية ، واعلمهم اني لا اجيب لاحدٍ منهم دعوةً ولاحدٍ من خلقي عليهم مظلمة (٣)

يا نوف ، ان داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال : انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له ، إلّا ان يكون عشّاراً (٤) ،

---

١) السبات النوم واصله الراحة . — ٢) اصل الشعار ما يلي الجسد من الثياب والدثار ما يلي الشعار ؛ والمقصود هنا ان الكتاب يقرأ سرًّا لدرس حكمه وفهم مواعظه ، والدعاء يُجهر به في الخارج خضوعا لله . — ٣) راجع لوقا (٥ : ٢٣ ، ٢٤) «فاذا قدمت قُربانك الى المذبح ، وذكرت هناك ان لاخيك عليك شيئاً . فدع قربانك هناك امام المذبح ، وامضِ اولاً فصالح اخاك ، وحينئذ آتِ وقدم قربانك» . — وقد اخذنا هذا القسم من رواية نوف عن المسعودي : مروج الذهب (الجزء الثامن ص : ٢٨ — ٢٩) لانه اتم منه في النهج ، اما ما بقي من الرواية فمن النهج . وزاد القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القطاعي ، في ما جمعه من كلام علي بعد هذا المقطع : «يا نوف ، لا تكوننّ شاعراً ، ولا عشّاراً ، ولا شرطياً ، ولا عريفاً ، ولا صاحب كوبة ، ولا صاحب عرطبة . فان نبيّ الله داود عليه السلام . . . » الخ بزيادة لفظة «شاعر» قبل «عشار» (دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم ص : ٩١ — ٩٢) . — ٤) العشّار : من يتولى اخذ اعشار الاموال ، وكان العشارون يأخذون اكثر مما يحقّ لهم

او عريفاً (١ ، او شرطياً ، او صاحب عرطبة (٢ ، او صاحب كوبة

سُئِل من اشعر الشعراء فقال :

ان القوم لم يجروا في حَلبة تُعرف الغاية عند قصبتها ، فـان كان ولا بدّ ، فالملك الضلّيل (٣

سأله سائل عن معضلة (٤ فقال :

سَلْ تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً ، فان الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم ، وان العالم

---

١) العريف من يتجسس احوال النـاس واسرارهم فيكشفها لاميرهم .—

٢) العرطبة : الطنبور ، كذا في النهج وكذلك الكوبة : الطبل ٣) الحَلبة : القطعة من الخيل تجتمع للسباق : القَصَبة : عود من قصب كان طلبة السباق ينصبونه عند الغاية فينتزعه السابق . اي لم يكن كلام الشعراء في مقصـد واحد بل اختلفوا في مذاهب الشعر . الملك الضليل : هو امرؤ القيس بن حجر الكندي اول اصحاب المعلقات عاش في اواخر القرن الخامس واوائل السادس . وروى ابو الفرج الاصبهاني قال ، بعد الاسناد :

«كان علي ، صلوات الله عليه ، يفطر الناس في شهر رمضان ، فاذا فرغ من العشاء تكلّم فأقل ، وأوجز فابلغ ، فاختصم الناس ليلةً ، حتى ارتفعت اصواتهم ، في اشعر الناس . فقال علي ، عليه السلام ، لابي الاسود الدؤلي : قل يا ابا الاسود . فقال ابو الاسود ، وكان يتعصّب لابي دؤاد الايادي ، أشعرهم الذي يقول :

ولقد اغتدي ، يدافعُ ركني ... أحوذيٌّ ذو ميعةٍ إضريجُ

مخلط ، مزيل ، مكرٌ ، مفرٌ ... منفح ، مطرح ، سبوح ، خروجُ

سلهب ، سرحب ، كأنّ رماحاً ... حملتـه وفي السراة دمـوجُ

وكان لابي الاسود رأي في ابي دؤاد . فاقبل عليٌّ على النـاس ، فقال : كل شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغايـة واحدة ، ومذهب واحد في القول ، لعلمنا ايهم اسبق الى ذلك ؛ وكلهم قد اصاب الذي اراد واحسن فيه ؛ وان يكن احد فضلهم فالذي لم يقل رغبةً ، ولا رهبةً ، امرؤ القيس بن حجر فانه كان اصحّهم بادرة ، واجودهم نادرة . (الاغاني : الجزء ١٥ ص : ٩٧) .— ٤) اي احجية ، سأله ذلك بقصد المعاياة لا الاستفادة

المتعسف شبيه بالجاهل المتعنّت

قيل له : صف لنا العاقل . فقال :

هو الذي يضع الشيء مواضعه . فقيل : صف لنا الجاهل . فقال : قد فعلت !

قال من صفة الغوغاء (١ :

هم الذين اذا اجتمعوا ضرّوا ، واذا تفرّقوا نفعوا

فقيل : قد عرفنا مضرّة اجتماعهم فما منفعة فراقهم ؟ فقال :

يرجع اصحاب المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم ، كرجوع البنّاء الى بنائه ، والنسّاج الى منسجه ، والخبّاز الى مخبزه .

سمع قول الخوارج : لا حُكم الاّ لله فقال :

كلمة حق اريد بها باطل !

مدح الدنيا

سمع رجلًا يذمّ الدنيا فقال :

ايها الذامّ للدنيا ، المغترّ بغرورها ، المخدوع باباطيلها ثم تذمّها ! اتغترّ بالدنيا ثم تذمّها ؟ انت المُتجرِّم (٢ عليها ام هي المتجرّمة عليك ؟ متى استهوتك ام متى غرّتك ؟ أبمصارع آبائك من البِلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى ؟ كم علّلت (٣ بكفيك وكم مرّضتَ بيديك ! تبغي لهم (٤

١) اوباشُ الناس يجتمعون على غير ترتيب . — ٢) تجرّم عليه : ادّعى عليه الجُرم . — ٣) عَلّلَ المريض : خدمه في علّته . — ٤) الضمير عائد الى الكثير المفهوم من لفظة كم

الشفاء ، وتستوصف (١ لهم الاطبـاء ! لم ينفع أحدَهم إشفاقُك (٢ ، ولم تسعف بطلبتك ، ولم تدفع عنه بقوتك ؛ قد مثلت الك به الدنيا نفسك ، وبمصرعه مصرَعك . ان الدنيا دار صدقٍ لمن صدقهـا ، ودارُ عافيةٍ لمن فهم عنها ، ودارُ غِنىً لمن تزوَّد منها (٣ ، ودار موعظـة لمن اتّعظ بها . مسجِـد أحِبّاء الله ، ومصلّى ملائكة الله ، ومهبط وحي الله ، ومتجر اولياء الله ، اكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنَّة . فمن ذا يذمُّها وقد آذنت ببينها (٤ ونادت بفراقها ، ونَعَت نفسها واهلها ، فمثلت لهم ببلائها البلاء ، وشوّقتهم بسرورها الى السرور . راحت بعافيـة ، وابتكرت بفجيعة (٥ : ترغيباً ، وترهيباً ، وتخويفاً ، وتحذيراً ؛ فذمَّها رجال، غداةَ الندامة (٦ ، وحمدها آخرون يوم القيامـة . ذكرتهم الدنيا فتذكروا ، وحدثتهم فصدقوا ، ووعظتهم فاتعظوا

* * *

رؤي عليه إزار خاق ، مرقوع ، فقيل له في ذلك . فقال :

يخشع له القلب ، وتذلُّ به النفس ، ويقتدي به المؤمنون !

سمع رجلًا من الحَرورية (٧ يتهجّد (٨ ويقرأ ، فقال :

نوم على يقين ، خير من صلاةٍ في شكّ !

أفرط رجل في الثناء عليه وكان له متّهِماً ، فقال :

انا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك !

---

١) استوصف : طلب وصف الدواء — ٢) الاشفاق : الخوف —٣) للآخرة — ٤) اي اعلمت الناس ببعدها وزوالها . —٥) راح : ذهب في المساء وضده ابتكر ، اي ان الدنيا تمسي بعافية ، وتصبح بمصيبة — ٦) عندما اصبحوا نادمين —٧ الحرورية : الخوارج الذين خرجوا عليه بحروراء . — ٨) يتهجّد : يصلّي بالليل .

الباب الثاني

الرسائل والوصايا

بين علي ومعاوية

كتاب علي الى معاوية بعد وقعة الجمل (١

سلام عليك ، اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام ؛ لانه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بويعوا عليه. فلم يكن للشاهد ان يختار، ولا للغائب ان يردّ، وانما الشورى للمهاجرين والانصار: فاذا اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً ، كان ذلك لله رضى، وان خرج عن امرهم خارج ، ردّوه الى ما خرج عنه ؛ فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولّاه الله ما تولّى ، واصلاه جهنم وساءت مصيراً . وان طلحة والزبير بايعاني ، ثم نقضا بيعتها ، وكان نقضها كردّها ، فجاهدتها بعد ما اعذرت اليها ، حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله ، وهم كارهون ؛ فادخلْ فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي قبولك العافية . وقد اكثرتَ في قتلة عثمان ؛ فان رجعت عن رأيك ، وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمتَ القوم اليَّ ، حملتك واياهم على كتاب الله .

١) راجع ما قلنا في المقدمة عن هذه الوقعة ص: ه.

واما تلك التي تريدها (١) فهي خدعة الصبي عن اللبن . ولعمري ، لئن نظرت بعقلك دون هواك ، لتجدني ابرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء (٢) الذين لا تحلّ لهم الخلافة ، ولا يدخلون في الشورى وقد بعثت اليك والى من قِبَلك جرير بن عبد الله ، وهو من اهل الايمان والهجرة ، فبايعه ، ولا قوة الا بالله

جواب معاوية

سلام عليك ، اما بعد فلعمري لو بايعك الذين ذكرتَ ، وانت بريءٌ من دم عثمان ، لكنت كابي بكر وعمر وعثمان . ولكنك أغريتَ بدم عثمان ، وخذلت الانصار ؛ فاطاعك الجاهل ، وقوي بك الضعيف . وقد ابى اهل الشام الا قتالك ، حتى تدفع اليهم قَتَلَةَ عثمان . فان فعلت ، كانت (٣ شُورى بين المسلمين . وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس ، والحق فيهم ، فلما فارقوه ، كان الحكام على الناس ، اهل الشام . ولعمري ما حجتك على اهل الشام ، كحجتك على اهل البصرة ؛ ولا حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير ؛ كانا بايعاك فلم ابايعك انا . فاما فضلك في الاسلام ، وقرابتك من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلست ادفعه .

جواب علي

اما بعد ، فقد اتانا كتابك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابهُ وقاده فاتّبعهُ . زعمتَ أنك انما أفسدَ عليك بيعتي خفري لعثمان ؛ ولعمري ما كنتُ الّا رجلًا من المهاجرين ، اوردتُ كما

---

١) اي الخلافة . —٢) الطلقاء : جمع طليق وهو الذي أُسر فاطلق . وكان معاوية وابوه ، ابو سفيان ، من الطلقاء يوم الفتح . —٣) اي الخلافة

اوردوا ، واصدرتُ كما اصدروا ؛ وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ، ولا ليضربهم بالعمى ؛ ومــا أَمرتُ فلزمتني خطيئة الأمر ، ولا قتلتُ فاخاف على نفسي قصاص القاتل . واما قولك ان اهل الشام هم حكام اهل الحجاز، فهاتِ رجلًا من قريش الشام يُقبَل في الشورى ، او تحلُّ لهُ الخلافة ؛ فان سمّيت، كذّبك المهاجرون والانصار؛ونحن نأتيك به من قريش الحجاز . واما قولك : « ادفع اليَّ قتَلَة عثمان » ؛ فما انت وذاك ! وههنا بنو عثمان وهم اولى بذلك منك . فان زعمت أنــك اقوى على طلب دم عثمان منهم ، فارجع الى البَيْعة التي لزمتك، وحاكِم القومَ اليَّ . واما تمييزك بين اهل الشام والبصرة ، وبينك وبين طلحة والزبير ؛ فلعمري فما الامر هناك الا واحد لانها بيعة عامة لا يتأتى (١ فيها النظر ، ولا يُستأنف فيها الخيــار . وأما قرابتي من رسول الله ، صلى الله عليــه وسلم ، وقدمي في الاسلام ؛ فلو استطعتَ دفعه لدفعتَه

وكتب معاوية ايضاً من كتاب يذكر الخلفاء الثلاثة الاولين:

اما بعد ، فكان افضلهم من الاسلام ، وانصحهم لله ولرسوله ، الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة الثالث . فكلهم حسدتَ ، وعلى كلهم بغيتَ ؛ عرفنا ذلك في نظرك الشزر ، وتنفسك الصعداء ، وابطائك على الخلفاء ؛ وانت في كل ذلك تُقــاد كما يقاد البعير المحسوس (٢ ، حتى تبايع وانت كاره . ولم تكن لاحد اشد حسدًا منك لابن عمك عثمان ، وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به ، في قرابته وصهره ؛ فقطعتَ

---

١) وفي النهج : لايثنى فيها النظر اي لا ينظر فيها مرةً ثانيــة . — ٢) المحسوس : وقيل المخشوش وهو الذي ادخل في انفه الخشاش وهي قطعة من خشب يقاد البعير بواسطتها

رَحِمَه ، وقبّحت محاسنه ، وألّبتَ عليه النـاس ، حتى ضُربت اليه آباط الابل ، وشُهر عليه السلاح في حرم الرسول ، فقُتل معك في المحلة ، وانت تسمع في داره الهائعة ، لا تؤدي عن نفسك في امره بقولٍ ولا فعل برّ . أُقسم قسماً صادقاً ، لو قمت في امره مقاماً واحداً تنهنِهُ الناس عنه ، ما عدلَ بك من قبَلنا من الناس احد ولمحى ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه . وأُخرى انت بها عند اولياء ابن عفّان ضنين : ايواؤك قَتَلَة عثمان ؛ فهم بطانتك ، وعضدك ، وانصارك . فقد بلغني انك تنتفي من دمه ، فان كنت صادقاً ، فادفع الينا قَتَلَتَه نقتلهم بهِ ؛ ثمّ نحن أسرعُ النـاس اليك . والّا فليس لك ولاصحابك الاّ السيف . والـذي نفس معاوية بيده ، لاطلبنّ قَتَلَة عثمان في الجبال ، والرمال ، والبرّ ، والبحر ، حتى نقتلهم أو تلحق ارواحنا بالله

من جواب علي

اما بعد . . . ذكرتَ ان عثمان كان في الفضل ثالثاً (اي بعد ابي بكر وعمر) فان كان محسناً فسيلقى رباً شكوراً يضاعف لـهُ الحسنات ويجزيه الثواب العظيم ؛ وان يكُ مسيئاً ، فسيلقى ربًّا غفورًا ولا يتعاظمه ذنب يغفره . ولعمري اني لارجو اذا الله اعطى الاسلام ، ان يكون سهمُنا ، اهلَ البيت ، أوفرَ نصيب . . . وذكرتَ ابطائي عن الخلفاء وحسدي اياهم ، والبغي عليهم . فاما البغي ، فمعاذ الله ان يكون ؛ واما الكراهة لهم ، فوالله ما اعتذر الناس من ذلك . وذكرتَ بغيي على عثمان ، وقطعي رَحِمه ، فقد عمل عثمان ما قد علمتَ ، وعمل بهِ النـاسُ ما قد بلغك ؛ فقد علمتَ أني كنت من امره في عزلة ، إلّا ان تتجنّى فتُجنّ (١ مـا شئت . واماً

١) تتجنّى : من تجنّى اذا ادعى الجناية على من لم يفعلهـا اي تتهمني زورًا ؛ تُجنّ : اي تخفي وتستر من الامور ما تريد

ذكرك قتلة عثمان ، وما سألتَ من دفعهم اليك ؛ فاني نظرتُ في هــذا الامر ، وضربت انفه وعينه ، فلم يسعني دفعهم اليــك ، ولا الى غيرك . وان لم تنزع عنْ غيك ، لتعرفنّهم عما قليل يطلبونك ، ولا يكلفونك ان تطلبهم في سهلٍ ، ولا جبــل ، ولا برّ ، ولا بحر . وقد كان ابوك ، ابو سفيان ، اتاني حين قُبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، فقال : « ابسط يدك ابايعك ، فانت احق الناس بهذا الامر ! » فكنت انا الذي ابيت عليه مخافة الفرقة بين المسلمين ، لقرب عهــد الناس بالكفر . فابوك كان اعلم بحقي منــك ؛ وان تعرف من حقي ما كان ابوك يعرفه ، تُصبْ رشدك ؛ والا فنستعين الله عليك (١

وكتب معاوية يطلب ان يترك له ولاية الشام ، ويدعوه للشفقة على العرب من الحرب ، ويخوفه باستواء العدد بين الفريقين . ويفتخر بانه من امية ، وهو وهاشم من شجرة واحدة ، فاجابه علي من كتاب :

. . . واما طلبك اليَّ الشام ؛ فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس . واما قولك : «ان الحرب قد أكلت العرب الّا حشاشات انفس بقيت» . الا ومن أكله الحقُ ، فالى الجنة ؛ ومن أكله الباطل ، فالى النــار . واما استواؤنا في الحرب والرجالِ ، فلستَ بامضى على الشكّ مني على اليقين (٢ ؛ وليس اهل الشام باحرص على الدنيــا من اهل العراق على الآخرة . واما قولك : «انا بنو عبد مناف» ، فكذلك نحن ، ولكن ليس امية كهاشم ، ولا حرب كعبد المطلب ، ولا ابو سفيان كابي طالب ، ولا المهــاجر

---

١) اخذنا هذا القسم من الرسائل عن العقد الفريد (ج ٢ ؛ ص : ٢٨٨ — ٢٩١) لانه اتم منه في نهج البلاغة فضلًا عن ان النهج لم يذكر كتب معاويـة . — ٢) اي فلست بما انت عليه من الشكّ في حقك باشجع مني وانا على يقين من حقي

كالطليق (١ ، ولا الصريح كاللصيق (٢ ، ولا المحق كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدغل (٣ ؛ ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم (٤

ومن كتاب الى معاوية

فسبحان الله ! ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة ، والحيرة المتّبعة ، مع تضييع الحقائق ، واطراح الوثائق ، التي هي لله طِلبة ، وعلى عباده حجة

فاما إكثارك الحِجاج في عثمان وقتله ، فانك انمـا نصرت عثمان حيث كان النصر لك (٥ ، وخذلته حيث كان النصر له . والسلام

من كتاب الى المنذر بن الجارود العبدي (٦ وقد خان في بعض ما ولّاه من اعماله

اما بعد فان صـلاح ابيك غرّني منك ، وظننت انك تتبع هَدْيَه ، وتسلك سبيله ؛ فاذا انت ، فيما رقي اليَّ عنك (٧ ، لا تدع لهواك انقياداً ، ولا تبقي لآخرتك عَتادا ، تعمر دنياك بخراب آخرتك ، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك . ولئن كان ما بلغني عنـك حقاً ، لَجَمَلُ أهلِك وشسعُ نعالك (٨ خير منك . ومن كان بصفتك فليس باهل ٍ أن يُسدّ به ثغر ، او

---

١) المهاجر : من آمن وهاجرَ مع النبي من مكة الى المدينة ؛ والطليق تقدم شرحه . — ٢) الصريح : صحيح النسب ؛ اللاصيق : من يلصّق نسبه بنسب القوم . — ٣) المدغل : المفسد . — ٤) اشارة الى المشركين ومن لم يؤمنوا بالنبي من اهل معاوية . —٥) اي حيث كان لنصره فائدة لك تتخذه واسطة لجمع النـاس الى مرادك . اما اذ كان حيّاً ، وكان نصرك لهُ يفيده ، فابطأت عنه . — ٦) لم يكن لعلي ثقة في هذا الوالي لانهماكه في امور الدنيا وعنه يقول : « انه لنظار في عطفيه ، مختال في برديه ، تفّال في شراكيه» اي ينفخ في سير نعليه لينفضهما من التراب . ٧) رقي اليَّ : رُفع وانهي اليَّ . — ٨) الشِسع : سير النعل .

ينفذ به أمر، او يُعلى له قدر، او يُشرَك في امانة، او يؤمن على خيانة(١
فأقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا، ان شاء الله

من كتاب الى عثمان بن حَنيف الانصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها

اما بعد، يا ابن حَنيف، فقد بلغني ان رجلًا من فتية اهل البصرة، دعاك الى مأدُبة، فأسرعت اليها تُستطاب لك الالوان، وتنقل اليك الجفان (٢ . وما ظننتُ أنك تُجيب الى طعام قومٍ عائلهم مَجفوّ (٣، وغنيُّهم مَدعوّ. فانظر الى ما تقضَمه من هذا المقضَم (٤، فما اشتبه عليك علمه فالفظهُ (٥، وما ايقنت بطيب وجوهه فنَل منه

من كتاب الى عمَر بن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين، فعزله، واستعمل نعمان بن عَجلان الزرقي مكانه

اما بعد فاني قد ولّيت نعمان بن عجلان الزرقي على البحرين، ونزعت يدك بلا ذمٍّ لك، ولا تثريب عليك. فلقد احسنت الولاية، وأدّيت

---

١) اي على دفع خيانة. — ٢) الجفان: جمع جفنة وهي القصعة. — ٣) عائلهم: محتاجهم؛ مجفوّ: اسم مفعول من الجفاء اي مطرود. — ٤) القضم: في الاصل الاكل باطراف الاسنان والمراد هنا الاكل مطلقاً. والمقضم: المأكل. — ٥) الفُظهُ: اطرحهُ حيث اشتبه عليك حلّهُ

الامانة ، فأقبِل غيرَ ظنين (١ ، ولا ملوم ، ولا مُتّهم ، ولا مأثوم . فلقد اردت المسيرَ الى ظَلَمَة (٢ اهــل الشام ، واحببتُ ان تشهد معي ، فانك ممن أستظهر به على جهاد العدوّ ، واقامة عمود الدين ؛ ان شاء الله

من كتاب الى زياد بن ابيه (٣

فدع الاسراف مقتصداً ، واذكر في اليوم غداً ؛ وأمسِك من المــال بقدر ضرورتك ، وقدِّم الفضل (٤ ليوم حاجتك

اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين ، وانت عنده من المتكبرين . وتطمع وانت متمرّغ في النعيم تمنعــه الضعيفَ والارملة ، ان يوجب لك ثواب المتصدّقين . وانما المرء مجزي بما اسلف ، وقادم على ما قدم ، والسلام

من كتاب الى بعض عماله

اما بعد فان دَهَاقين (٥ اهل بلدك شكوا منك غلظةً ، وقسوة ، واحتقاراً ، وجفوةً . ونظرتُ فلم ارهم اهلًا لان يُدنَوا لشركهم ؛ ولا ان يُقصوا ويُجفوا ، لعهدهم (٦ . فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرفٍ من الشدة ؛ وداولْ لهم بــين القسوة والرأفة ؛ وامزج لهم بين التقريب

---

١) الظنين : المتّهم لسوء ظنّ به . –٢) ظَلَمَة : جمع ظالم . — ٣) زياد بن ابيه (+٦٧٤) كان مجهول الاب حتى ادّعى معاوية انه اخوه لابيه من زواج غير شرعي ، وذلك كي يستفيد من فصاحته وحكمته في الادارة . كان ، لما كتب اليه علي ، خليفةً لعامله عبد الله بن العباس على البصرة . – ٤) ما يفضل من المال . – ٥) الدهاقين : الاكابر ويظهر ان هؤلاء القوم كانوا من غير المسلمين ولكنهم كانوا معاهدين . –٦) اي لا يستحقون ان يقرَّبوا فانهم مشركون ، ولا ان يبعدوا فانهم معاهدون

والادناء ، والابعاد والاقصاء ، ان شاء الله

من كتاب الى اهل الكوفة عند مسيره الى البصرة

من عبدالله علي ، امير المؤمنين ، الى اهل الكوفة ، جبهة الانصار ، وسنام العرب (١ .

اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه :

ان الناس طعنوا عليه ، فكنت رجلاً من المهاجرين أُكثر استعتابه (٢ ، وأقلّ عتابه . وكان طلحة والزبير ، اهون سيرهما فيه الوجيف (٣ ، وارفق حدائهما العنيف . وكان من عائشة فيه فلتة غضب (٤ ، فأُتيح له قوم فقتلوه . وبايعني الناس غير مستكرهين ، ولا مُجبَرين ، بل طائعين مخيَّرين .

واعلموا ان دار الهجرة (٥ قد قلعت باهلها ، وقلعوا بها ، وجاشت جيش المرجل ، وقامت الفتنة على القطب (٦ . فاسرعوا الى اميركم ، وبادروا جهاد عدوكم ، ان شاء الله .

---

١) شبههم بالجبهة من حيث الكرم ، وبالسنام من حيث الرفعة . — ٢) استعتابه : استرضاؤه . كان من اهم الاسباب التي طعن فيها على عثمان توليته المناصب لاقاربه . — ٣) الوجيف : نوع من سير الخيل والابل سريع . وجملة « اهون سيرهما الوجيف » خبر كان ، والمعنى ان طلحة والزبير سارعا لاثارة الفتنة عليه . — ٤) كانت عائشة حانقة على عثمان . قيل انها اخرجت نعلي النبي ، وقميصه ، وعثمان على المنبر فقالت : «هذان نعلا رسول الله ، وقميصه لم تبلَ . وقد بدَّلت من دينه ، وغيَّرت من سنته» وجرى بينهما كلام المخاشنة فقالت : «اقتلوا نعثلاً» ونعثل رجل معروف كان اذا اريد تحقير عثمان سُمي به . راجع المقدمة . — ٥) دار الهجرة : المدينة ؛ قلع المكان باهله : نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم . — ٦) القطب : هو علي نفسه . اي ان اهل المدينة خرجوا جميعهم لقتال اهل الفتنة فعليكم بالاقتداء بهم

الوصايا

من وصية وصّى بها الحسن (١

لا تخلفنَّ وراءك شيئاً من الدنيا، فانك تخلفه لاحد رجلين : اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به ، واما رجــل عمل فيه بمعصية الله فكنت عوناً له على معصيته . وليس احد هذين حقيقاً ان تؤثره على نفسك .

يا بني احفظ عني اربعاً ، واربعاً لا يضرُّك مــا عملت معهنَّ : اغنى الغــنى العقل . واكبر الفقر الحُمق . وأوحش الوحشة العُجْب (٢ . واكرم الحسب حسن الخُلق . يا بني ايَّاك ومصادقة الاحمق ، فانه يريد ان ينفعك فيضرّك . واياك ومصادقة البخيل ، فانه يبعد عنك احوج ما تكون اليه . واياك ومصادقة الفاجر ، فـانه يبيعك بالتافه . واياك ومصادقة الكذّاب ، فانه كالسراب يقرّب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب .

العلم والمال

قال كميل بن زياد النخعي :

«اخذ بيدي امير المؤمنين، علي بن ابي طالب، عليه السلام، فاخرجني الى الجبَّان (٣، فلما اصحر (٤ تنفس الصعداء ثم قال » :

يا كميل ، ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها (٥ ؛ فاحفظ عني ما

---

١) هو بكر اولاده من فاطمة بنت النبي . تولىَّ الخلافة بعده مدة خمسة اشهر ثم تنازل عنها لمعاوية سنة (٦٦٢) . توفي في المدينة سنة ٦٦٧ او ٦٦٩ وقال ابن الاثير : « سمّته زوجته جعدة بنت الاشعث الكندي» . — ٢) لان من اعجب بنفسه مقته الناس حتى لا يجد لهُ انيساً . —٣) الجبّان : والجبَّانة المقبرة . —٤) اصحر : صار في الصحراء . — ٥) اوعية : جمع وعاء ، واوعاها : احفظها

اقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم ربّاني (١، ومتعلّم على سبيل النجاة (٢، وهَمَج (٣ رعاع اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركنٍ وثيق .

يا كميل ، العلم خيرٌ من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . المال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق . وصنيع المال يزول بزواله (٤

يا كميل ، العلم دينٌ يُدان به . به يكسب الانسان الطاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته . والعلم حاكم والمال محكوم عليه .

***

اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل(٥ لكانت لذلك اهلاً :

لا يرجونَّ احدٌ منكم الا ربه ؛ ولا يخافنَّ الا ذنبه ؛ ولا يستحينَّ احدٌ اذا سُئل عما لا يعلم ، ان يقول : لا اعلم ؛ ولا يستحينَّ احدٌ اذا لم يعلم الشيء ، ان يتعلّمه ؛ وعليكم بالصبر ، فالصبر من الايمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في ايمان لا صبر معه .

---

١) الرباني : العارف بالله ، المتألّه . — ٢) هو من اذا اتمّ علمه نجا . — ٣) الهمَج : الحمقى . — ٤) اي من كان يشكرك ويتحبب اليك لمالك زال ما تراه منه بزوال المال من يدك . — ٥) ضرب آباط الابل كناية عن شدّ الرحال وحث المسير

الباب الثالث

الخطب والادعية

من خطبة يذكر فيها اعداءه

اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكاً (١)، واتخذهم له اشراكاً. فباض وفرّخ في صدورهم، ودبّ ودرج في حجورهم. فنظر باعينهم، ونطق بالسنتهم؛ فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه

ومن خطبة في ذم اهل البصرة

كنتم جند المرأة، واتباع البهيمة (٢) رغا فاجبتم، وعقر فهربتم. اخلاقكم دقاق (٣)، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاق (٤). المقيم بين اظهركم مرتهنٌ بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه. كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة (٥) قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها، وغرق من في ضمنها

---

١) مَلاك الشيء ومِلاكه: قوامه الذي يملك به. — ٢) المرأة: عائشة؛ البهيمة: الجمل؛ راجع معركة الجمل في المقدمة ص: ه — ٣) دقة الاخلاق: دناءتها. — ٤) زعاق: مالح. — ٥) الجؤجؤ: صدر الطائر ثم مقدم السفينة

ومن خطبة في صفاته تعالى

الحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حالاً ؛ فيكون اولاً قبل ان يكون آخراً ، ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً . كل مسمى بالوحدة غيره قليل (١ . وكل عزيز غيره ذليل . وكل قوي غيره ضعيف . وكل مالك غيره مملوك . وكل عالم غيره متعلم . وكل قادر غيره يقدر ويعجز . وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ، ويصمه كبيرها ، ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ، ولطيف الاجسام . وكل ظاهر غيره باطن . وكل باطن غيره غير ظاهر . لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ؛ ولا تخوف من عواقب زمان ؛ ولا استعانة على نِدٍّ مثاور (٢ ، ولا شريك مكاثر ، ولا ضدٍّ منافر ؛ ولكن خلائق مربوبون ، وعبّاد داخرون (٣ . لم يحلل في الاشياء فيقال : هو فيها كائن ؛ ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن (٤ . لم يؤده (٥ خلق ما ابتدأ ، ولا تدبير ما ذرأ (٦ ، ولا وقف به عجز عما خلق ؛ ولا ولجت عليه شبهة فيما مضى وقدر ؛ بل قضاء متقن ، وعلم محكم ، وامر مبرم المأمول مع النقم المرجو مع النعم .

وله كثير من الخطب ، على هذا النمط ، في صفاته تعالى ووصف الخلق ، وذم الدنيا . وقد اكتفينا بذكر واحدة منها خوف الاملال لان اكثرها توسيع لما ورد في هذه

---

١) وصف غير الله بالوحدة تقليل لان الكمال في عالم ذاك الشيء ان يكون كثيراً اما الله تعالى فوصفه في الوحدة تنزيه . -٢) الندّ : النظير ؛ المثاور : المواثب . ٣) داخرون : اسم فاعل من دخر اي ذلَّ وحقر . -٤) بائن : منفصل . -٥) يؤده : مضارع آده الامر اي اثقله . -٦) ذرأ : خلق

الادعية

دعاء في الاستسقاء

اللهمَّ ! قد انصاحت جبالنا (١ ، واغبرَّت ارضنا ، وهامت دوابُّنا ، وتحيرت في مرابضها ، وعجّت عجيج الثكالى على اولادها ، وملّت التردُّد في مراتعها ، والحنين الى مواردها

اللهمَّ ! فارحم أنين الآنّة ، وحنين الحانَّة ! اللهم! فارحم حيرتَها في مذاهبها ، وأنينها في موالجها (٢ !

اللهم ! خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين (٣ ، واخلفتنا مخايل الجَود (٤ ، فكنت الرجاء للمبتئس ، والبلاغ للملتمس . ندعوك حين قنط الانام ، ومنع الغمام ، وهلك السوام (٥ ، ان لا تؤاخذنا باعمالنا ، ولا تأخذنا بذنوبنا ؛ وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق (٦ ، والربيع المغدق ، والنبات المونق ، سحًّا وابلًا ، تحيي به ما قد مات ، وترد به ما قد فات

اللهمَّ سقياً منك محيية ، مروية ، تامة ، عامة ، طيبة ، مباركة ، هنيئة ، مريعة ، زاكياً نبتها ، ثامرًا فرعها ، ناضرًا ورقها ؛ تنعش بها الضعيف من عبادك ، وتحيي بها الميت من بلادك

---

١) انصاحت : جفّت ويبست بقولُها .—٢) اي مداخلها في المرابض .— ٣) حدابير : جمع حدبار وهي في الاصل الناقة التي انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب . — ٤) مخايل : جمع مخيلة وهي السحابة التي تظهر كانها ماطرة ولا تمطر ؛ الجَوْد : المطر . — ٥) السوام : جمع سائمة وهي البهيمة . — ٦) انبعق السحاب : انفرج عن المطر

اللهم ! سقياً منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا ، وتخصب بها جنابنا (١ ، وتقبل بها ثمارنا ، وتعيش بها مواشينا ، وتندى بها اقاصينا ، وتستعين بها ضواحينا ، من بركاتك الواسعة ، وعطاياك الجزيلة ، على بريتك المرملة (٢ ، ووحشك المهملة . وانزل علينا سماء مخضلة ، مدراراً هاطلة ، يدافع الوَدْقُ (٣ منها الودق ، ويحفز (٤ القَطْرُ منها القطر . غير خلّب برقها ، ولا جَهام عارضها (٥ ، ولا قزع ربابها (٦ ، ولا شفّان ذِهابها (٧ ؛ حتى يخصب لامراعها المجدبون ، ويحيي ببركتها المسنتون(٨

من كلمات كان يدعو بها

اللهم! اغفر لي ما انت اعلم بهِ مني! فان عدت فعد لي بالمغفرة . اللهم! اغفر لي ما وأيت (٩ من نفسي ، ولم تجد له وفاء عندي . اللهم ! اغفر لي ما تقربت به اليك ثم خالفه قلبي . اللهم ! اغفر لي رمزات الالحاظ ، وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان

---

١) الجناب : الناحية . — ٢) المرملة : الفقيرة . — ٣) الودق : المطر . — ٤) يحفز : يدفع . — ٥) الجهام : السحاب لا مطر فيهِ ؛ العارض : ما يعرض في السماء من الغيم . — ٦) القزَع : القطع الصغار المتفرقة من السحاب ؛ الرباب : السحاب الابيض . — ٧) الشفّان : الريح الباردة ؛ الذِهاب : جمع ذهبة وهي المطرة القليلة اي لا تكون امطارها ذات ريح باردة . — ٨) المقحطون . — ٩) وأى : وعد وضمن

فهرس